أُحِبُكَ نَبِي

(السِيرَة النَبَوية العَطِرَة)

oooooooooooooooooooooooooooooooooooo

oooooooooooo

الجُزْءُ الثَانِي: مِنْ وِلاَدَة الرَسُول حَتَى مَبْعَثِهِ صلى الله عليه وسلم

* * * * * * * * *

الفصل التاسع: وُلِّدَ الهدي

°°

°°

كيف عصم الله –تعالى- الرسول ﷺ وهو لا يزال جنينًا

تحدثنا في الفصل السابق عن زواج "عبد الله بن عبد المطلب" من السيدة "آمنة بنت وهب"

وقلنا أن عُمر "عبد الله" عندما تزوج كان ثمانية عشر عامًا، بينما عمر "آمنة" ثلاثة عشر عامًا.

وظل "عبد الله" مع عروسه عشرة أيام.

ثم كان عليه أن يسافر الى قافلة متجهة الى الشام.

ثم عاد مع القافلة، واتجه الى "يثرب" ولكنه مرض هناك.

ورقد عند أخواله "بنى النجار" في يثرب.

وظل مريضًا شهرًا كاملًا حتى مات ودفن هناك.

°°

عندما مات "عبد الله بن عبد المطلب" كان الرسول ﷺ جنينًا في بطن أمه، وكان في شهره السادس.

ونحن نعلم أن حزن الأم يؤثر على الجنين.

ولكن قدر -تعالى- أن يكون موت "عبد الله" بعد مرور الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل.

وهذه الشهور الثلاثة هي أكثر الشهور التى يتأثر فيها الجنين بحزن أمه.

حتى عندما علمت آمنة بوفاة زوجها "عبد الله" كانت أحداث محاولة "أبرهة" هدم الكعبة، وأهلاك جيش الحبشة في أوجها.

فكانت هذه الأحداث سببًا في أن تلتهي قليلًا عن حزنها.

ثم صعدت مع أهل مكة الى شعاب الجبال وهي في شهرها السابع هربًا من جيش أبرهة.

ورأت بعينيها معجزة اهلاك جيش الحبشة.

وعاشت أفراح مكة بنجاتهم ونصرة الله لهم.

وهكذا عصم الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لا يزال جنينًا في بطن أمه، من أن يتأثر بحزن أمه على وفاة زوجها.

°°

السيدة "آمنة" لا تكتشف حملها بالرسول صلى الله عليه وسلم

يحدث للمرأة بعد الاخصاب بعض التغيرات الفسيولوجية.

وهو ما يطلق عليه "اعراض الحمل" أو "الوحم"

مثل الشعور بالتعب، والرغبة في النوم، والرغبة في الأكل، والغثيان الصباحي، وكثرة التبول.

ولكن السيدة "آمنة" عندما حملت بالرسول صلى الله عليه وسلم لم تشعر بأي عرض من هذه الأعراض.

حتى عندما انقطعت عنها الدورة الشهرية لم تشك أنها حامل.

وبدأت السيدة "آمنة" تجد البركة في حياتها والتيسير في كل شيء.

تقول السيدة آمنة "إني حملت به فلم أجد حملا قط كان أخف عليّ ولا أعظم منه بركة"

وبدأت "أمنة" تري رؤي جميلة.

وكان مما رأته أن نورًا يخرج منها يضيء العالم.

°°

ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم

وجاء موعد الولادة فكانت الولادة يسيرة لم تجد لها أي مشقة.

وكانت الولادة يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، الموافق ابريل سنة 571 ميلادية.

وكانت الولادة بعد واقعة الفيل بخمسين يومًا.

وكانت "قريش" لا تزال تحتفل بحادثة الفيل، وهي حادثة فريدة في التاريخ كله.

وكانت الوفود لا تزال تأتي الى مكة من الجزيرة لتهنئة قريش وتهنئة "عبد المطلب" سيد قريش.

وكان ممن حضر الولادة "فاطمة بنت عبد الله" تقول:

"حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا،

ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي"

°°

مكان ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم

كانت ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت "أبو طالب" عم النبي صلى الله عليه وسلم

وبيت "أبو طالب" كان في مدخل شِعْب أبو طالب.

و"الشِعْب" هو الطريق بين جبلين، لأن مكة كانت محاطة بالجبال.

وكان شِعْب "أبو طالب" هو المكان الذي كان يسكن فيه "بنو هاشم" في مكة.

ومكان ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم معروف الى الآن.

وكان قد بنى فوق هذا المكان مسجدًا، ولكن السلطات السعودية اختارت أن تهدم هذا المسجد لكثرة تبرك الناس به.

ثم جاء رجل اسمه "عباس قطان" أراد صيانة الموضع الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من الإهمال، وتكريم هذا المكان باقامة عمل نافع فيه، فأقام في هذا المكان المبارك مكتبة، أطلق عليها مكتبة "مكة المكرمة" ولا يزال الآلاف يتوافدون الى هذا المكان يوميًا للتبرك به.

مكتبة مكة المكرمة أقيمت في نفس موضع ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم

°°°

أحداث صاحبت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

عندما ولد النبي صلى الله عليه وسلم صرخ ابليس صرخة عالية.

وقد ورد في حديث رواه أحمد أن ابليس صرخ في حياته كلها أربعة صرخات:

- صرخة حين لعن.
- وصرخة حين اهبط من الجنة.
- وصرخة حين ولد النبي صلى الله عليه وسلم
- وصرخة رابعة حين نزلت فاتحة الكتاب.

°°°

وعندما ولد النبي صلى الله عليه وسلم اهتز وارتج "ايوان كسري"

وهي غرفة عرش كسري ملك الفرس.

حتى سقطت منه أربعة عشر شرفة.

وانطفأت نار الفرس التى كانوا يعبدونها.

وقد كانت لم تنطفأ منذ ألف سنة.

بقايا ايوان كسري وهي موجودة الى الآن

°°

وكان في مكة يهودي اسمه "يوسف"

ورأي هذا اليهودي في ليلة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم شهبًا كثيرة لم ير مثلها من قبل.

فقال: هذا نبيٌّ قد وُلِد في هذه الليلة؛ اننا نجد في كتبنا أنّه إذا وُلِد آخِر الأنبياء رُجمت الشياطين، وحُجِبوا عن السماء.

ولما أصبح ذهب الى قريش وأخذ يسألهم:

- هل وُلِد فيكم الليلةَ مولود؟

قالوا: قد وُلد لعبد الله بن عبدالمطّلب ابنٌ في هذه الليلة.

فمشي هذا اليهودي الى بيت أبي طالب الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وطلب أن يري المولود.

فأخرجوا له الرسول صلى الله عليه وسلم

فنظر هذا اليهودي بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم فرأي خاتم النبوة بين كتفيه.

وهي شامة سوداء عليها شُعَيرات.

فلما رأي اليهودي هذا أغشي عليه.

فتعجبت منه قريش وأخذوا يضحكون.

فلما أفاق ووجدهم يضحكون، قال:

"أتضحكون يا معشر قريش، ذهبت النبوّة عن بني إسرائيل إلى آخِرِ الأبد"

وتفرّق الناس يتحدّثون بخبر هذا اليهوديّ!

°°°

عبد المطلب يسمي الرسول صلى الله عليه وسلم محمدًا

نعود الى دار "أبي طالب" حيث ولد النبي صلى الله عليه وسلم

ما ان علم "عبد المطلب" جد الرسول صلى الله عليه وسلم بالولادة حتى أسرع الي بيت ابنه "أبي طالب"

ونظر الى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم المشرق، وفرح به فرحًا شديدًا.

وحمله حتى دخل به الكعبة، وأخذو يدعو له.

وفي اليوم السابع ذبح "عبد المطلب" لحفيده، وأقام وليمة لقريش.

وسألوه عن اسمه، فقال سميته "محمد" فتعجبوا لأن الاسم كان غريبًا بالنسبة للعرب.

وقالوا له: لم رغبت عن أسماء أهل بيته؟ (يعنى السماء المعروفة)

قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض.

°°

رؤيا "عبد المطلب" العجيبة

وكان سبب تسمية "عبد المطلب" للرسول ﷺ بهذا الاسم أنه رأي رؤيا عجيبة:

رأي كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ولها طرف في السماء وطرف في الأرض، وطرف في المشرق وطرف في المغرب.

ثم تحولت السلسلة الى شجرة، على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها.

فقص الرؤيا، فعبرت له بمولود يكون من صلبه، يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سماه محمدا.
لأن معنى كلمة "محمد" هو الذي يحمده الناس كثيرًا لجميل أفعاله.

ولم يكن أحد من العرب قد تسمي هذا الاسم قبل الرسول ﷺ الا ثلاثة فقط.

وقد تسموا بهذا الاسم لأن آبائهم قد سمعوا من أحبار اليهود والنصاري أن هذا الاسم هو اسم آخر الأنبياء، وأن هذا زمن ظهوره، فسموا أبنائهم بهذا الاسم طمعًا في أن يكون هذا المولود هو ذلك النبي.

والآن اسم "محمد" هو أكثر الأسماء انتشارًا في العالم كله.

وحسب موسوعة "جينيس" في عام 2006 فان عدد الذين يحملون اسم "محمد" 70 مليون شخص.

وكل هذا للحب الذي يحمله المسلمون لرسولهم وحبيبهم الرسول ﷺ

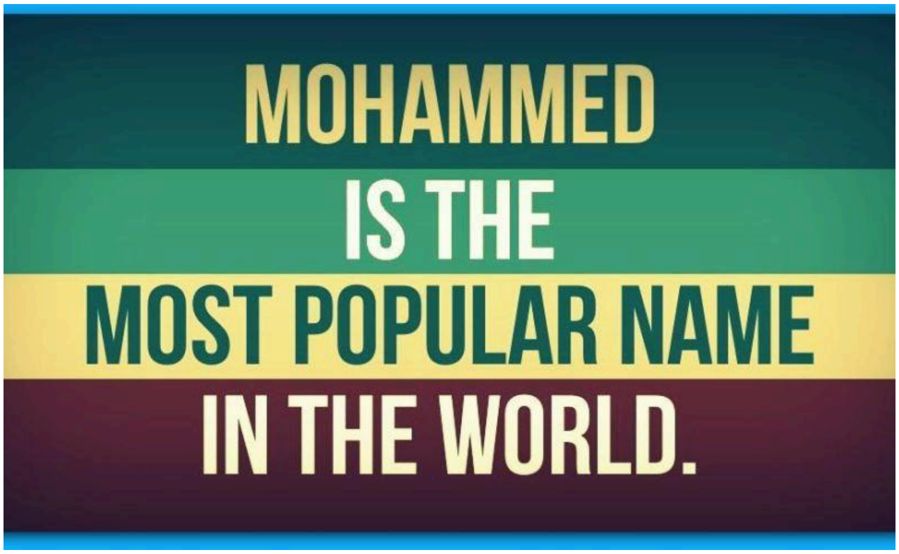

اسم محمد الأكثر انتشارًا في العالم حسب موسوعة جينيس

* * * * * * * * *

الفصل العاشر: حليمة السعدية

°°

°°

ولد النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإثنين مع شروق شمس يوم الثاني عشر من ربيع الأول، بعد حادثة الفيل بخمسين يومًا.

وسماه جده –عبد المطلب- "محمد" حتى يحمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض.

°°

ارضاع "آمنة" و"ثويبة" للرسول صلى الله عليه وسلم

كان أول من أرضع الطفل النبي صلى الله عليه وسلم هو أمه السيدة "آمنة بنت وهب".

وأرضعته كذلك "ثويبة" جارية عمه "أبي لهب".

وقد أرضعته لبن ابنها "مسروح".

لأن المرأة التى ترضع يعنى أن لها ابن في سن الرضاعة.

وكانت "ثويبة" قد أرضعت قبله "حمزة بن عبد المطلب"

وأرضعت بعده أيضًا "أبا سلمة بن عبد الأسد"

ولذلك فكل هؤلاء اخوة للرسول ﷺ من الرضاعة:

"مسروح بن ثويبة"

و"حمزة بن عبد المطلب" فهو عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة في نفس الوقت.

و"أبا سلمة"

ولذلك عندما عُرِّضَ على النبي ﷺ بعد ذلك أن يتزوج ابنة لحمزة قال ﷺ:

"إنها لا تحل لي إنها ابنة أخي أرضعتني وإياه ثويبة"

وحدث أن "حبيبة بنت أبي سفيان" زوجة النبي ﷺ قالت للرسول ﷺ:

- انا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة.

(يعنى فيه كلام أنك تريد أن تتزوج بنت أبي سلمة)

فقال النبي ﷺ متعجبًا:

- بنت أم سلمة ؟

قالت:

- نعم.

فقال النبي ﷺ :

- لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لى، إنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتنى وأبا سلمة "ثويبة".

والمعنى أن بنت "أم سلمة" لا تحل له لأنها ابنة زوجته.

ويسمون ذلك "تربت في حجره" قال تعالى في المحرمات من النساء "وربائبكم اللاتي في حجوركم"

فلو لم تكن ابنة لزوجتى، لما حلت لي أيضًا لأنها ابنة لأبا سلمة أخي من الرضاعة.

.....

وكان الرسول ﷺ **بعد ذلك** يكرم "ثويبة" لأنها أمه من الرضاعة.

وكانت تكرمها -أيضًا زوجته السيدة "خديجة".

وحاوت خديجة –رضى الله عنها- أن تشتريها من "أبو لهب" وتعتقها، تكرمة لرسول الله ﷺ ولكن "أبو لهب" رفض.

وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة لم ينس "ثويبة" فكان يسأل عنها وعن أخبارها، وكان يسأل عن ابنها وأخيه في الرضاعة "مسروح" ويرسل اليهما بالمال والهدايا، حتى ماتت في السنة السابعة من الهجرة.

°°

"عبد المطلب" يبحث للنبي صلى الله عليه وسلم عن مرضعة

أرضعت السيدة "آمنة" و"ثويبة" الرسول صلى الله عليه وسلم فترة لم تتعد الشهر.

ثم راح جده "عبد المطلب" يبحث له عن مرضعة حتى يرسله لينشأ في البادية.

وكانت هذه عادة أشراف العرب الذين يسكنون في الحضر.

والحضر هم الذين يسكنون المدن مثل "مكة" و"يثرب" و"الطائف"

أما البدو فهم الذين يسكنون الخيام، ويتنقلون في الصحراء.

فكان من عادة أشراف أهل المدن مثل "مكة" أن يرسلوا أطفالهم الى البادية، وذلك لسببين:

أولًا: حتى ينشأ الطفل بعيدًا عن الأمراض والأوبئة التى تكثر في المدن، نتيجة قدوم الكثير عليها من خارجها للتجارة وغير ذلك.

ثانيًا: حتى يتقنون اللسان العربي، ويفصح كلامهم، لأن البدو يتميزون بالفصاحة وسلامة اللغة، وهم أصل اللغة العربية وأهلها.

°°

قصة عن فصاحة أهل البادية:

لم يكن "عمر بن الخطاب" يفهم معنى قول الله تعالى ((فَنَادَوْا وَلَاتَ حِين مَنَاص))

فبينما هو يمشي في البادية، رأي طفلًا صغيرًا يدور باصبعه حول خنفساء ليمنعها من الهرب ، وهو يقول لها: وَلَاتَ حِين مَنَاص، وَلَاتَ حِين مَنَاص.

يعنى: لن تهربين.. لن تهربين.

فعلم أن معنى قول الله تعالى ((فَنَادَوْا وَلَاتَ حِين مَنَاص)) يعنى أن أهل النار يصيحون يوم القيامة: ليس هنا فرصة للفِرَار وَالهَرَبَ مِنْ الْعَذَاب.

وهكذا تعلم "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه -وهو من هو في العلم- معنى هذه الآية الكريمة من صبى صغير في البادية.

من ذلك أيضًا أن الشافعي لزم قبيلة "هذيل" وهو صبي ليتعلم كلامهم ويحفظ أشعارهم، ولذلك بلغ القمة في الفصاحة، وأصبح حجة في اللغة العربية، وكان يطلق عليه "خطيب الفقهاء"

والى الآن بدو الحجاز هم أقرب اللهجات الى العربية الفصحي.

وهكذا أخذ "عبد المطلب" جد النبي صلى الله عليه وسلم -كما هي عادة أشراف العرب- يبحث للنبي صلى الله عليه وسلم عن مرضعة حتى يرسله لينشأ في البادية.

°°°

نساء "بنى سعد" يقدمن مكة للبحث عن رضعاء

قدم في ذلك الوقت عشرة نساء من قبيلة "بنى سعد"

وقبيلة "بنى سعد" تبعد عن مكة حوالى 150 كم.

وديار "بنى سعد" في منطقة جبلية مرتفعة عن سطح البحر، ولذلك فجوها لطيف، ومن القبائل الشهيرة بالفصاحة.

فكانت بعض نساء هذه القبيلة يأتين في كل عام في موسم خاص يبحثن عن الرضعاء ويذهبنَ بهم إلى بلادهنّ حتى تتم الرضاعة.

فقدم في ذلك العام عشرة من نساء "بنى سعد" وكلهن وجدوا رضعاء واتفقوا مع ذويهم، باستثناء واحدة فقط وهي "حليمة بنت عبد الله بن الحارث"

وكل الرضعاء وجدوا مرضعات باستثناء طفل واحد فقط وهو "محمد بن عبد الله"

ذلك أن كل المرضعات كن يبحثن عن طفل أهله أغنياء.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتيمًا ليس له أب، فقالوا: وما عست أمه أن تفعل؟

(يعنى ما الذي ستعطيه لنا أمه ؟)

قدم في هذا العام عشرة نساء من بنى سعد

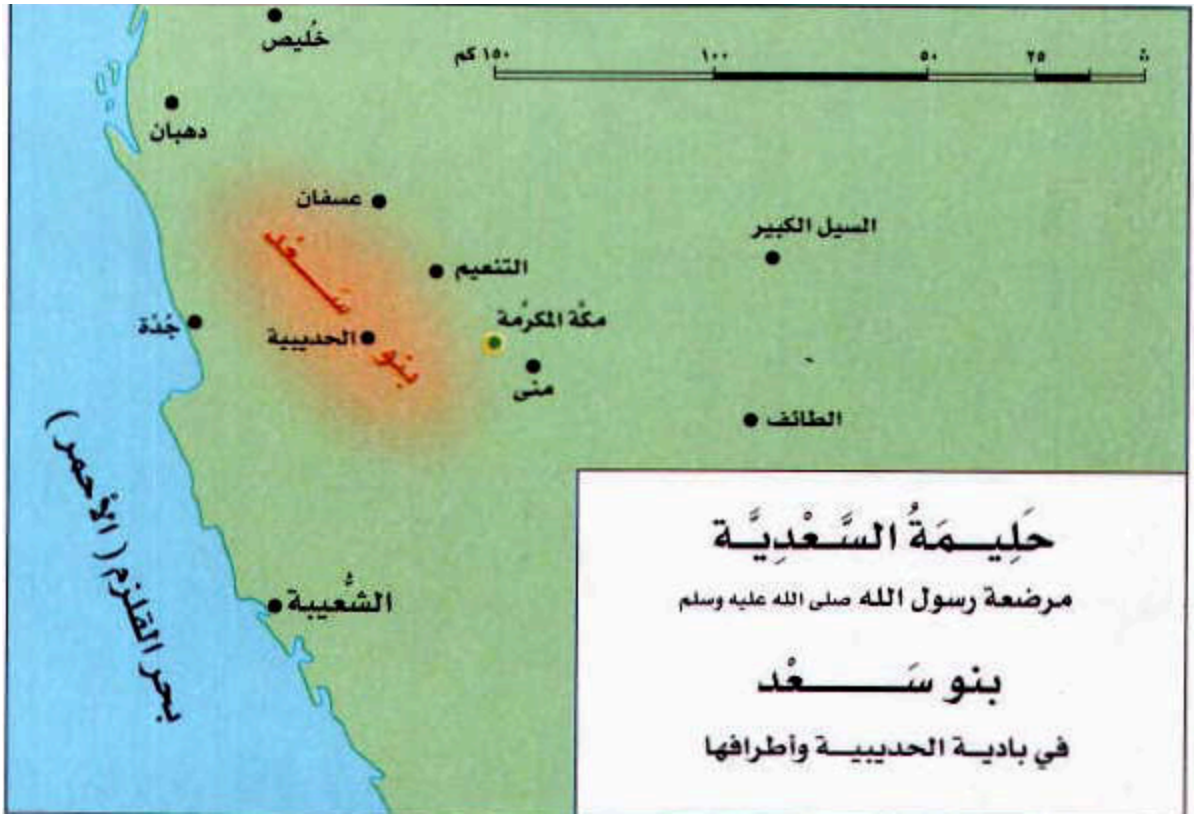

مكان بادية "بنو سعد" من مكة المكرمة

.....

القصة من "حليمة" مباشرة

ولنستمع الى هذا الحديث من السيدة " حَلِيمَةُ بنت عبد الله" مباشرة، ولاحظوا فصاحتها وسلامة لغتها.

تقول حَلِيمَةُ:

خَرَجْتُ فِي النِّسْوَةِ عَلَى أَتَانٍ لِي (أُنْثَى الحِمَارِ) حَمْرَاءَ.

وَمَعِيَ زَوْجِيَ "الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى".

قَدْ أدمَت أَتَاننَا.

(يعنى هذه الحمارة جرحت قوائمها لأنها كانت تصطك بعضها ببعض من كثرة هزالها)

وَمَعِيَ بِالرَّكْبِ شَارِفٌ

(وكان معي أيضًا ناقة مسنة)

ونحن فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ

(وهذه السنة سنة قَحْطٍ وجَدْبٍ)

قَدْ جَاعَ النَّاسُ، حَتَّى خَلُصَ إِلَيْهِمُ الْجَهْدُ.

(كل الناس في القبيلة في جوع شديد، وفي تعب وهزال من شدة الجوع)

وَمعَيَ ابْنٌ لِي، وَاللَّهِ مَا يَنَامُ لَيْلَةً، وَمَا أَجِدُ فِي يَدِي شَيْئًا أُعَلِّلُهُ بِهِ.

(ولم يكن ابني ينام من شدة الجوع وليس عندي أي طعام أصبره به)

إِلَّا أَنَّا نَرْجُو الْغَيْث.

(كل ما نفعله هو أننا ننتظر نزول المطر في ديارنا)

وَكَانَتْ لَنَا غَنَمٌ فَنَحْنُ نَرْجُوهَا

(وكانت لنا غنم نرجو أن تأتي لنا بخير)

فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ فَمَا بَقِيَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: إِنَّهُ يَتِيمٌ

(جميع المرضعات عُرِضَ عليها الرسول ﷺ **لتأخذه وترضعه فرفضن لأنه يتيم)**

وَإِنَمَا يُكْرِمُ الظِّئْرُ وَيُحْسِنُ إِلَيْهَا الْوَالِدُ.

(الظِّئْرُ هي التى ترضع غير ولدها)

(فكن يقلن أن الذي يكرم المرضعة ويعطيها مالًا هو والده، وهذا يتيم بلا أب)

فَقُلْنَا: مَا عَسَى أَنْ تَفْعَلَ بِنَا أُمُّهُ أَوْ عَمُّهُ أَوْ جَدُّهُ.

فَكُلُّ صَوَاحِبِي أَخَذَ رَضِيعًا، وَمَا أَجِدُ شَيْئًا.

فَلَّمَا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ رَجَعْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُهُ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ.

(يعنى هي كانت قد رفضت أن تأخذ الرسول ﷺ **لترضعه، فلما لم تجد غيره عادت لتأخذه)**

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي (يعنى لزوجها):

"وَاللَّهِ لَآخُذَنَّ هَذَا الْيَتِيمَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَا أَرْجِعُ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَا أَجِدُ شَيْئًا."

(قلت لزوجي أرجع وآخد هذا اليتيم حتى لا أرجع بدون طفل ويكون شكلي وحش بين زميلاتي)

فَقَالَ: فَقَدْ أَصَبْتِ

(عندك حق)

قَالَتْ: فَأَخَذْتُهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّحْلَ (القافلة) فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَتَيْتُ بِهِ الرَّحْلَ، أَقْبَلَ ثَدْيَايَ بِاللَّبَنِ حَتَّى أَرْوَيْتُهُ، وَأَرْوَيْتُ أَخَاهُ - عبد الله بن الحارث-

(امتلأ ثديها باللبن حتى شبع محمد وشبع ابنها)

فَقَامَ أَبُوهُ (يعنى أبو محمد من الرضاعة) إِلَى شَارِفِنَا (ناقتهم المسنة).

فَإِذَا هِيَ حَافِلٌ (ممتلئة بالبن) فَحَلَبَهَا فَأَرْوَانِي وَرُوِيَ.

فَقَالَ: يَا حَلِيمَةُ، تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَصبنَا نَسَمَةً مُبَارَكَةً

(شعر الحارث ببركة الطفل صلى الله عليه وسلم)

فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ شِبَاعًا، وَكُنَا لَا نَنَامُ لَيْلَنَا مَعَ صِبْيَنَا.

(أول ليلة ننام شبعانين، وكما لا ننام نحن ولا أولادنا من شدة الجوع)

فَقَامَ أَبُوهُ إِلَى شَارِفِنَا فَإِذَا هِيَ حَافِلٌ

°°

ثُمَّ اغتدينا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِنَا أَنَا وَصَوَاحِبِي

(تحركت أنا والنساء في الصباح لنعود الى قبيلتنا)

فَرَكِبْتُ أَتَانِيَ الْحَمْرَاءَ، فَحَمَلْتُهُ مَعِي.

(ركبت أنثى الحمار التى معي وحملت معي الطفل الرسول ﷺ)

فَوَالَّذِي نَفْسُ حَلِيمَةَ بِيَدِهِ، لَقَطَعْتُ بِالرَّكْبِ حَتَّى إِنَّ النِّسْوَةَ لَيَقُلْنَ: أَمْسِكِي عَلَيْنَا، أَهَذِهِ أَتَانُكِ الَّتِي خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟

(فوالله سبقت كل الركب حتى أن النساء كن يقلن متعجبين أهذه هي الحمارة التى جئت بها ؟!)

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

(نعم هي نفس الحمارة)

فَقَالُوا: إِنَّهَا كَانَتْ أُدْمَتْ حِينَ فَمَا شَأْنُهَا ؟

(لقد كانت قوائمها مصابة من شدة الهزال فماالذي حدث لها؟)

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلْتُ عَلَيْهَا غُلَامًا مُبَارَكًا.

(والله ان الغلام الذي معي غلامًا مباركًا)

قَالَتْ: فَخَرَجْنَا فَمَا زَالَ يَزِيدُنَا اللَّهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَيْرًا حَتَّى قَدِمْنَا وَالْبِلَادُ سَنَةً.

(وجدنا الخير في كل شيء حتى وصلنا والقبيلة في سنة يعنى في نقص في المياه وقحط شديد)

فَلَقَدْ كَانَ رُعَاتُنَا يَسْرَحُونَ ثُمَّ يُرِيحُونَ

(الرعاة في القبيلة كانوا يأخذوا الماشية للمرعي ويعودوا بها)

فَتَرُوحُ أَغْنَامُ بَنِي سَعْدٍ جِيَاعًا، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا بِطَانًا حُفْلًا، فَنَحْلِبُ، وَنَشْرَبُ

(كل أغنام القبيلة ترجع جائعة وترجع غنم حليمة شبعانة ممتلئة ضروعها بالين فنحلبها ونشرب)

فَيَقُولُونَ: مَا شَأْنُ غَنَمِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَغَنَمِ حَلِيمَةَ تَرُوحُ شِبَاعًا حُفْلًا، وَتَرُوحُ غَنَمُكُمْ جِيَاعًا

(لماذا غنم الحارث وغنم حليمة ترجع شبعانة وممتلئة باللبن وترجع بقية الغنم جائعة)

وَيْلَكُمُ اسْرَحُوا حَيْثُ تَسْرَحُ رِعَاتُهُمْ

(اجعلوا غنمكم ترعي في نفس أماكن غنم الحارث وحليمة)

فَيَسْرَحُونَ مَعَهُمْ فَمَا تَرُوحُ إِلَّا جِيَاعًا كَمَا كَانَتْ، وَتَرْجِعُ غَنَمِي كَمَا كَانَتْ.

(فيجعلون أغنامهم ترعي في نفس مكان غنم حليمة الا أنها كانت ترجع جائعة وترجع غنم حليمة شبعانة)

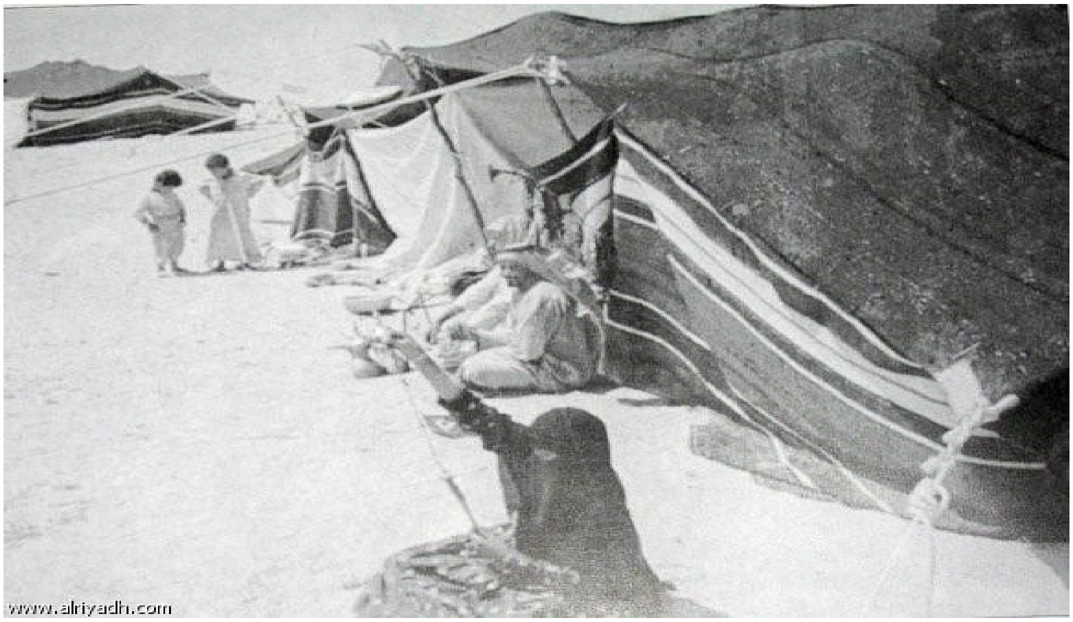

بادية الجزيرة العربية

* * * * * * * * *

الفصل الحادي عشر: النبي في بادية بنى سعد

°°

عائلة "حليمة"

كانت العائلة التى تربي فيها الرسول صلى الله عليه وسلم تتكون من: "الحارث بن عبد العزى" وزوجته "حليمة بنت عبد الله بن الحارث" ولهما ثلاثة ابناء:

1- عبد الله بن الحارث، وهذا الذي كانت ترضعه "حليمة" مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

2- وأنيسة بنت الحارث.

3- وجدامة بنت الحارث، ولقبها "الشيماء" وهي أشهر أخوة الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

°°°

وفاء النبي ﷺ

بعد حوالى خمسة وعشرون سنة من هذا التاريخ، وبعد أن تزوج الرسول ﷺ من السيدة خديجة، كان أول شيء فعله -بعد أن استأذن زوجته- هو أن أرسل الى أمه من الرضاعة السيدة "حليمة" أربعين رأسًا من الضأن ترعاها في ديارها وتستغنى بها الى آخر ما قدر لها من العمر.

وبعد ذلك التاريخ بعشرات السنين، وفي السنة الثامنة من الهجرة، عندما انتصر المسلمون انتصارًا ساحقًا في غزوة "حنين" على قبيلة "هوازن" وكان من أسري "هوازن" في هذا اليوم "الشيماء" أخت الرسول ﷺ من الرضاعة.

وفي ذلك الوقت كان عمر الرسول ﷺ **61 عامًا، وعمر الشيماء 71 عامًا.**

فكانت الشيماء بعد أن وقعت في الأسر تقول **للمسلمين:**

- **انى أخت صاحبكم من الرضاعة.**

(يعنى اخت رسوكم ﷺ من الرضاعة)

فلم يصدقوها وجائوا بها الى الرسول ﷺ فقالت له:

- يا رسول الله، أني لأختك من الرضاعة!

فقال لها الرسول ﷺ:

- وما علامة ذلك ؟

فقالت الشيماء:

- عضة عضضتها في ظهري.

(يعنى هي كانت تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم على ظهرها وهو صغير فعضها في ظهرها)

فعرفها الرسول صلى الله عليه وسلم وهش لها ورحب بها، وخلع ردائه وأجلسها الى جواره، وأخذ يتحدث اليها.

ثم خيرها بأن تبقي معه معززة مكرمة، أو أن يعطيها أموالًا ويرجعها الى قومها.

فاختارت أن يعطيها مالًا ويعيدها الى قومها.

فأعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم وأعادها الى قومها.

وكان مما أعطاها: غلامًا وجارية.

فزوجت أحدهما بالآخر، ولا يزال نسلهما موجود الى الآن

وقد أسلمت "شيماء" واشتهرت بكثرة العبادة.

°°

و بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت قبيلة "بنو سعد" من القبائل التى ارتدت عن الاسلام.

ولكن "الشيماء" ظلت على دينها، ودافعت عن الاسلام بكل جهدها، وأخذت تنشد الشعر الذي تناصر فيه الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم حتى أذهب الله تعالى الفتنة عن "بنى سعد"

أما "حليمة" فقد ماتت في السنة الثامنة، يقول الراوي: فذرفت عين الرسول صلى الله عليه وسلم عليها بالدموع

(هذه هي كل قصة "شيماء" أخت الرسول صلى الله عليه وسلم **وكما ترون ليس لها علاقة بالعمل الدرامي الذي حمل نفس الإسم)**

(سنعود -ان شاء الله- للحديث عن الشيماء عند حديثنا عن غزو حنين في السنة الثامنة من الهجرة)

°°

الرسول صلى الله عليه وسلم يظل في "بنى ساعدة" عامين

ظل الرسول صلى الله عليه وسلم في "بنى ساعدة" سنتين، هي مدة الرضاعة، تقول السيدة حليمة في ذلك:

- وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا مَا يُشْبِهُ أَحَدًا مِنَ الْغِلْمَانِ، يَشِبُّ فِي الْيَومِ شِبَّانَ الْغُلَامِ فِي الشّهْرِ، وَيَشِبُّ فِي الشَّهْرِ شِبَّانَ السَّنَةِ.

يعنى مثلًا الطفل العادي يبدأ في المشي في عمر السنة، فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في المشي في عمر ستة أشهر.

أويبدأ الطفل العادي في الكلام في عمر عامين، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث في عمر عام.

وبعد مرور عامين كان على حليمة وزوجها أن يردوا الرسول صلى الله عليه وسلم الى أمه بمكة، كما هو الاتفاق.

صورة من البادية

°°

عودة الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة.

ولكن حليمة وزوجها ارادا أن يحتفظا بالرسول صلى الله عليه وسلم فترة أطول.

فقالت السيدة حليمة لزوجها: " وَاللَّهِ لَا نُفَارِقُهُ أَبَدًا، وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ"

وأخذا يحاولان مع السيدة "آمنة" ويقولان لها:

- إِنَّا لَنَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ وَأَسْقَامَهَا.

ووافقت السيدة "آمنة" خوفًا على ابنها.

ورجعا بالرسول صلى الله عليه وسلم

ولكن لم تمر الا أربعة أشهر حتى وقعت حادثة شق الصدر:

°°

حادثة شق الصدر

كان الرسول ﷺ يلعب خَلْفَ الْبُيُوتِ مع "عبد الله بن الحارث" أَخُوهُ من الرضاعة.

فجاء اليه جبريل في صورة رجل.

وأضجعه الى الأرض (وضعه على جنبه على الأرض)

وشق صدره.

وأخرج قلبه من صدره.

وأخرج من قلبه علقة (يعنى قطعة دم متجمدة)

وقال: "هذا حظ الشيطان منك"

(يعنى أخرج من قلبه ما في قلوب البشر من الحقد والحسد وغير ذلك من امراض القلوب)

ثم غسل قلبه بماء زمزم في طست من ذهب، يعنى في طبق كبير من ذهب.

ثم ضم صدره مرة أخري.

فلما رأي أخوه من الرضاعة هذا جري الى حيث أبوه وأمه، وأخذ يصرخ ويقول:

- إِنَّ أَخِيَ الْقُرَشِيَّ أَتَاهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ، فَأَخَذَاهُ، فَأَضْجَعَاهُ، فَشَقَّا بَطْنَهُ.

وفزعت حليمة وزوجها وانطلقا يجريان بأقصى سرعة.

فوجدا الرسول صلى الله عليه وسلم ممتقع الوجه (لونه مخطوف)

فلما رآهما أجهش صلى الله عليه وسلم بالبكاء. (فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله)

وأخذت السيدة حليمة وزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم في أحضانهما.

بادية "بنى سعد" الآن

°°

العودة الثانية للرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة

خافت حليمة وزوجها على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون قد أصابه مس من الجن

(هكذا صورت لهما ثقافتهما البدوية الجاهلية)

وقررا أن يردوه الى أمه بمكة.

وبالفعل ركبا الى مكة .

وفوجئت السيدة "آمنة" بعودة حليمة وزوجها، فسألتهما عن السبب.

فقالا: أنه قد استكمل الرضاعة.

فلم تقتنع السيدة آمنة، وقَالَتْ: إِنَّ لَكُمَا لَشَأْنًا. (يعنى الموضوع فيه سر)

فلم تزل السيدة "آمنة" بهما، حتى اعترفا لها بما حدث. (فضلت وراهم الى أن قصا عليها ما حدث)

ثم قالا لها انهما يخافان عليه.

وعلمت اسيدة "آمنة" أنهما يخافان عليه من الجن، فغضبت وقَالَتْ:

- كَلَّا وَاللَّهِ لَا يَصْنَعُ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِ، إِنَّ لِابْنِي شَأْنًا (يعنى ابنى سيكون له شأن) أَفَلَا أُخْبِرُكُمَا خَبَرَهُ: إِنِّي حَمَلْتُ بِهِ، فَوَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ حِمْلًا قَطُّ أَخَفَّ عَلَيَّ مِنْهُ وَلَا أَيْسَرَ، ثُمَّ أُرِيتُ حِينَ حَمَلْتُهُ أَنَّهُ خَرَجَ نُورٌ أَضَاءَ قُصُورَ بُصْرَى (رأيت رؤيا أثناء الحمل أنه قد خرج مني نور أضاء حتى الشام) ثُمَّ حِينَ وَضَعْتُهُ فَوَاللَّهِ مَا وَقَعَ كَمَا يَقَعُ الصِّبْيَانُ، لَقَدْ وَقَعَ مُعْتَمِدًا بِيَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَدَعَاهُ عَنْكُمَا (اتركاه)

°°

وهكذا انتهت فترة اقامة الرسول ﷺ في ديار قبيلة "بنى سعد"

وكانت عامين وثلاثة أشهر قضاهما الرسول ﷺ هناك.

والقبيلة موجودة الى الآن.

ومكان بيت "حليمة" الذي تربي فيه الرسول ﷺ موجود الى الآن.

وكان قد بُنِّى عليه مسجدًا.

ولكن قامت السلطات السعودية بهدمه حتى لا يتبرك به الناس.

ولكن المكان لا يزال معروفًا ومحاطًا بالحجارة.

بقايا البيت الذي عاش فيه الرسول في بادية بنى سعد

* * * * * * * * *

الفصل الثاني عشر: اليتيم

°°°

°°°

ظل الرسول ﷺ في قبيلة "بنى سعد بن بكر" عامين أو أكثر.

وحدثت حادثة "شق الصدر" حيث جاء جبريل فشق صدر النبي ﷺ

وأخرج من قلبه علقة، أي قطعة دم متجمدة، وألقاها.

وقال هذا حظ الشيطان منك.

أي أن الله تعالى نقي قلب الرسول ﷺ من جميع أمراض القلوب، كالحقد والحسد والكبر والجبن والقسوة، وغير ذلك.

خشيت حليمة وزوجها على النبي ﷺ بعد حادثة شق الصدر فأعاداه الى أمه.

وكانت سعادة السيدة "آمنة" بعودة وليدها اليها عظيمة.

°°°

وبدأ الرسول ﷺ حياته في مكة

كان عمر السيدة آمنة حين عاد اليها طفلها النبي ﷺ حوالى ستة عشر عامًا، وكان عمر الرسول ﷺ حوالى عامين ونصف العام.

كان الرسول ﷺ طفلًا شديد الجمال.

كان وجهه كالقمر في ليلة البدر.

وكان أبيض الوجه بحمرة.

ناعم الشعر، يصل شعره الى كتفيه.

أهدابه طويلة.

لها عينان جميلتان لامعتان ينمان على الذكاء.

دائم الإبتسام.

فصيح اللسان.

مطيع لأمه وجده وأعمامه.

يحترم الأكبر منه سنًا.

يخطف ﷺ قلب كل من يراه.

°°

وبدأ الطفل الرسول ﷺ حياته في مكة.

بدأ يتعرف على أقرانه في مكة ويلعب معهم.

وكان أقربهم اليه "حمزة" عمه وأخوه في الرضاعة، وكان في مثل عمره تقريبًا.

وتعرف بعد ذلك على "أبي بكر" وكان أصغر منه بعامين.

اكتشف الرسول ﷺ في هذا السن المبكرة أنه "يتيم"

ولم يكن يشعر بهذا الأمر وهو في قبيلة "بنى سعد" لأن "الحارث بن عبد العزي" زوج السيدة "حليمة" كان للرسول ﷺ بمثابة الأب، وهو بالفعل أبوه من الرضاعة، وكان الرسول ﷺ يناديه بأبي، و"الحارث" ينادي الرسول - ﷺ بابني.

ولكن عندما عاد النبي ﷺ الى مكة اكتشف لأول مرة أنه يتيم ليس له أب.

ولكنه كان محاطًا بحب أعمامه وحب جده "عبد المطلب" سيد قريش,

.....

آمنة ترفض الزواج حتى تتفرغ لطفلها النبي

وتقدم للسيدة "أمنة" الكثير من قريش، يريدون الزواج منها.

وكانت -كما ذكرنا- بنت سيد "بنى زهرة" وذات نسب وشرف في قومها، وكانت صغيرة في السن.

ولكن "آمنة" كانت ترفض الزواج، وكان هذا أمرًا مستغربًا عند العرب، لأن الرجل العربي كان يتزوج أكثر من امرأة وقد يتزوج عشرة من النساء وربما أكثر، ولذلك لم يكن معروفًا عندهم أن تظل امرأة بلا زواج.

ومع ذلك قررت "آمنة" ألا تتزوج لأنها كانت تشعر أن عليها مهمة جليلة، وهي أن تفرغ حياتها كلها لرعاية طفلها الصغير "محمد بن عبد الله" ﷺ

كانت "آمنة"على يقين أن هذا الطفل سيكون له شأن.

ليس فقط للرؤيا الواضحة التى رأتها أن نورًا يخرج منها يضيء العالم، ولا الرؤيا التى رآها جده "عبد المطلب" ولا لكاهنة قريش التى كلما نظرت اليها قالت لها: أنت النذيرة أو التى ستلد نذير.

ولكن أيضًا للظروف التى أحاطت زواجها:

فزوجها "عبد الله بن عبد المطلب" والد النبي ﷺ فداه الله تعالى بمائة من الإبل، وبعد أن فداه الله تعالى بمائة من الإبل تزوجها، ولم يبق معها الى عشرة أيام ثم سافر ومات في سفره، فكأن الله تعالى نجاه ليقوم بهذه المهمة الجليلة وهي أن تحمل السيدة آمنة بهذا الطفل، وبعد أن قام بهذا الأمر مات وكأن هذا كان دوره في الحياة.

هكذا كان قرار "آمنة" بعدم الزواج، لأنها كانت على يقين أن عليها مهمة جليلة، وهي التفرغ لرعاية طفلها الصغير "محمد بن عبد الله" ﷺ

(يقول النبي ﷺ "أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أني أرى امرأة تبادرني، فأقول مالك ومن أنت؟ تقول: امرأة قعدت على أيتام لي")

°°

حنان السيدة "آمنة"

وكانت السيدة "آمنة" شديدة الرعاية والحنان على النبي ﷺ - وكان هذا من طبيعة نساء قريش.

يقول الرسول ﷺ في حديث رواه البخاري ومسلم

"خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج فى ذات يده"

يعنى نساء قريش أكثر النساء حنانًا على أطفالهن، وأكثر النساء محافظة على أموال أزواجهن.

فكان من اعداد الله -تعالى- للنبي ﷺ أن تكون أمه من أكثر النساء حنانًا على أطفالهن.

والآن يقول العلم أن حاجة الطفل للحب تأتي في مقدمة احتياجاته، والحنان على الطفل هو السبيل حتى ينشأ الطفل سويًا، كما أن حنان الأم يزيد من حجم منطقة في الدماغ هي المسئولة عن الذكاء.

°°

رحلة "آمنة" والرسول ﷺ **الى "يثرب"**

كانت "آمنة" تعلم أن ابنها يتيم، ولذلك أحبت أن تربطه بأخواله "بنى النجار" في يثرب.

وعندما نقول أن أخوال النبي ﷺ هم "بنو النجار" في يثرب فليس معنى هذا أنهم أخوة أمه السيدة "أمنة"

ولكنهم أخوال جده "عبد المطلب" لأن "عبد مناف" أبو "عبد المطلب" كان متزوجًا من "بنى النجار" في يثرب.

كانت السيدة "آمنة" ذكية، ومن ذكائها أنها أرادت أن تربط ابنها بأخوال جده في يثرب، بالرغم من أنه حفيد سيد قريش، وله في مكة اثنى عشر عم، وستة عمات.

سبب آخر لرحلة "آمنة" وهو أنها تريد زيارة قبر زوجها المتوفي "عبد الله" وتريد أيضًا تزوير ابنها قبر أبيه.

سعد الرسول ﷺ جدًا عندما أخبرته أمه بهذه الرحلة، كسعادة أي طفل بالإنطلاق في رحلة.

وكان عمر الرسول ﷺ في ذلك الوقت ستة أعوام.

°°°

كانت هناك قافلة تجارية متجهة من "يثرب" الى الشام، ومرت على مكة، فقررت السيدة "آمنة" أن تنضم لهذه القافلة وهي في طريق عودتها من الشام الى يثرب.

انتظرت "آمنة" القافلة حتى عادت الى مكة فانضمت اليها هي وابنها الرسول ﷺ

وكان معهما "بركة" وهي جاريتها التى ورثتها عن زوجها "عبد الله".

وهي التى عرفت بعد ذلك في كتب السيرة باسم "أم أيمن"

وقد كانت "بركة" هي حاضنة الرسول ﷺ أو ما يطلق عليها الآن المربية.

انضمت آمنة والرسول ﷺ الى القافلة المتجهة يثرب

°°

وصلت "آمنة" والرسول ﷺ و"بركة" الى "يثرب"

واستقبلها أهل زوجها بالترحيب الشديد بها وبطفلها ﷺ

ونزلوا في دار "النابغة الصغري"

وهي الدار الذي دفن فيه "عبد الله" والد النبي ﷺ.

وقضى الرسول ﷺ أيامًا جميلًا في "يثرب"

وكانت من أجمل أيام طفولته ﷺ

وتعلم فيها النبي ﷺ السباحة في أحد آبار "يثرب"

والسباحة في البئر هي أصعب أنواع السباحة.

وظل الرسول ﷺ يتذكر هذه الأيام الجميلة

حتى أنه عندما هاجر الى "يثرب" بعد ذلك، مر أمام دار "النابغة الصغري" وقال:

"ههنا نزلت بي أمي، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار"

قضى الطفل الرسول ﷺ أيامًا جميلة في يثرب

العودة من يثرب ووفاة آمنة

ظلت آمنة والرسول ﷺ و"بركة" شهرًا في يثرب.

وقررت "آمنة" العودة مع قافلة تجارية متجهة الى مكة.

ولكن في منتصف الطريق تقريبًا بين "يثرب" و"مكة" هبت على القافلة عاصفة حارة قوية عاتية، في جو الصيف الملتهب.

وتوقفت القافلة عدة أيام حتى تهدأ العاصفة.

ولكن شعرت "آمنة" بعد انتهاء العاصفة بألم شديد وضعف في جسدها.

ثم ازدادت عليها الآلام وشعرت بدنو أجلها، فقالت تتحدث الى جاريتها:

- يا بركة ما أراها الا منيتي (وقت وفاتي) قد قدمت.
- فالله الله في محمد.
- لا تدعينه يضل الطريق.
- ولا تتركيه لقاطع طريق يأخذه فيبيعه عبدًا فهو حر وابن حر.
- ان محمد أمانه عندك حتى تسلميه لعبد المطلب

ثم أخذت الرسول ﷺ في حضنها، وضمته ضمًا شديدًا، وبكت، ليس لفراق الدنيا، ولكن لفراق ابنها اليتيم الحبيب ﷺ

بطت "آمنة" شفقة علي طفلها وهو يفقد الآن أمه وهو ابن ست سنوات، وقد فقد من قبل أباه وهو لا يزال جنينًا في بطنها.

وبكي الطفل النبي ﷺ لبكاء أمه، وأخذ يمسح دموعها بيده الصغيرة الشريفة.

نظرت "آمنة" الى ظفلها نظرة حملت فيها كل الحب.

ثم قالت له وكأنها تعزيه بصوت واهن ضعيف:

.

- **كل جديد بال.**
- **وكل كبير يفنى.**
- **وكل حى ميت.**
- **وأنا ميتة وذكرى باق.**
- **فقد تركت خيراً.**

- **وولـدت طهــراً.**

.

تراخت يد "آمنة" التى كانت تحتضن بها طفلها.

وماتت آمنة.

وخيم على القافلة صمت وسكون، لا يقطعه الا بكاء الطفل النبي ﷺ

واحتضنته "بركة" وهي تبكي بكاءًا مرًا

أغمضت "بركة" عينى سيدتها "أمنة" وكفنتها.

وحملت الجثة الى قرية "الأبواء" القريبة.

والرسول ﷺ يتبعها مطرقًا واجمًا حزينًا.

ودفنها القوم.

وعلا نحيب الرسول ﷺ وهو يحاول أن يتشبث بأمه.

وبكت القافلة جميعًا لبكاء الطفل ﷺ

هبت على القافلة عاصفة حارة قوية

°°°

وبعد هذا المشهد بأربعة وخمسين سنة، وفي عمرة القضاء، في السنة السابعة من الهجرة

خرج النبى صلى الله عليه وسلم تحت جنح الظلام الى " الأبواء"

وانحاز الى موضع هناك يعرفه جيداً.

وساوي الرمل بيده الشريفة، وسقى الرمل بدمعه.

ولحق به بعض أصحابه، وراعهم بكاء نبيهم صلى الله عليه وسلم

وقال له عمر بن الخطاب: ما يبكيك يارسول الله ؟

فيقول النبى صلى الله عليه وسلم :

"ان القبر الذى رأيتمونى أجلس، انه قبر أمى "

قبر السيدة "آمنة" بالأبواء

°°°

عودة الرسول صلى الله عليه وسلم وحيدًا الى مكة

عادت القافلة الى "مكة" و "محمدًا" مطرقًا حزينًا مستسلمًا.

واستقبله جده "عبد المطلب" وهو يحبس دموعه شفقة على حفيده الذي فقد أمه بعد أن فقد أبيه.

وانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكفالة جده "عبد المطلب"

عادت القافلة الى مكة و محمد مطرقًا حزينًا مستسلمًا

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفصل الثالث عشر: الحفيد

°°°

°°°

عَبْد الْمُطَّلب الشخصية الأسطورية

كان عُمر "عبد المطلب" حين انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى كفالته (ستة وتسعون عامًا) ولكنه كان لا يزال محتفظًا بقوته.

وكان "عبد المطلب" معروفًا في الجزيرة العربية، بل كان معروفًا في العالم القديم في ذلك الوقت.

أولًا لقصته في حفر زمزم، والذي عرفتها كل العرب.

وثانيًا لموقفه مع أبرهة، ووقوع حادثة الفيل في عهده، وكان هذا حدثًا عالميًا.

وكان "عبد المطلب" هو سيد قريش.

وكانت له مكانة وهيبة ليس عند قريش فقط ولكن عند كل العرب.

وقد رأينا كيف حين دخل على أبرهة، هابه أبرهة جدًا، وهو القائد الذي يقود جيشًا لم تشهده الجزيرة من قبل، ومعه أفياله الضخمة، وانتصر بل سحق في طريقه "ذو نفر" وقبيلته، ثم سحق "نفيل" وقبيلته، واستسلمت "الطائف" واستسلمت "مكة" نفسها.

برغم كل هذا عندما دخل عليه سيد قريش، أو "حاكم مكة" وهو حاكم الدولة المستسلمة، هابه أبرهة جدًا حتى نزل من على عرشه، وجلس معه على الأرض.

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

وكان "عبد المطلب" يجلس كل يوم عند الكعبة، ويجلس وراءه أبناءه وكان عددهم تسعة..

(ملاحظة: أنجب "عبد المطلب" اثنى عشر من الذكور، مات منهم في حياته ثلاثة منهم "عبد الله" والد النبي صلى الله عليه وسلم)
وكان أبناء "عبد المطلب" معروفون بالجمال وقوة الأجسام.
يقول الْكَلْبِيُّ –المؤرخ الشهير-:
"لَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ بَنُو أَبٍ مِثْلَ بَنِي "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" أَشْرَفَ مِنْهُمْ وَلا أَجْسَمَ"
(يعنى في قوة أجسامهم وجمالهم)
فكان يجلس خلف "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" أبناءه وأحفاده، ويلتف حوله سادة قريش، فيتحدثون في أمور قريش والعرب.
ويكن يتكلم أحد منهم الا باذنه لهيبته.
ولا يجلس أحد على البساط الذي يجلس عليه لهيبته.
ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

ويخلط البعض بين الخوف وبين الهيبة.
فالخوف هو الخوف، أما الهيبة فهي اجتماع الحب مع الخوف.
أحيانًا نجد صاحب عمل يؤذي مرؤسيه، حتى يخافوا منه، ويعتقد أنه يحقق لنفسه بذلك هيبة، وهذا غير صحيح، فالهيبة لا تعنى الخوف، وخوف الناس منك وأنت بيدك سلطة أمر سهل، أما المعادلة الصعبة فهي أن يجتمع الخوف منك والحب لك في نفس الوقت.
ولذلك نسمع كثيرًا عن هيبة "عمر بن الخطاب" لأن المسلمون كانوا يخافون من "عمر" ويحبونه في نفس الوقت.
ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

وهكذا كان "عبد المطلب" .. كانت له هيبة عند كل العرب، اكتسبها بصفاته الطيبة، وحلمه، وحسن خلقه.
وكان "عبد المطلب" كريمًا، وكانت عنده بيوت لإطعام الحجاج وعابري السبيل، وكانت له ابل خصصها لخدمة الكعبة، حتى أن قريشًا أطلقت عليه "الفياض" وأطلقت عليه: مطعم الانس والوحش والطير.
وكان يُنْشِد شعرًا رائعًا -وقد جمعت أشعاره في ديوان، يمكن أن تتصفحه على الانترنت-
وكان شعره الجميل من أسباب شهرته عند العرب.
هكذا لم يكن "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" شخصية عادية، وانما كان من أعظم "سادة قريش" في تاريخها كله.

لم يكن "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" شخصية عادية

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

<u>عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وحبه واعداده للرسول صلى الله عليه وسلم</u>

انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أمه الى بيت جده "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ".
وكان "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" متزوجًا بستة من النساء، وله ستة بيوت.
واختار "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم في بيت زوجته "هالة بنت وهيب"
لأن "هالة" هي بنت عم أمه "آمنة بنت وهب"
ولأن في البيت "حمزة" صديق الرسول صلى الله عليه وسلم وأخيه من الرضاعة.
وكان "حمزة" أسن من الرسول صلى الله عليه وسلم بعامين.

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

وكان "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" شديد الحب والتعلق بحفيده الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان على يقين من أن هذا الغلام سيكون له شأن عظيم.
وكان "عبد المطلب" إذا جلس عند الكعبة، ومعه أبناءه وسادة قريش، وكانوا -كما ذكرنا- لا يجلسون على البساط الذي يجلس عليه هيبة له، ثم يأتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام عمره ستة سنوات يريد أن يجلس بجوار جده، فينهره أعمامه، فيقول لهم عبد المطلب: "دعوا ابنى"
ثم يمسح على ظهره ويقبله ويقول: "إن لابني هذا لشأن"

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

وكان "عبد المطلب" يربي حفيده الرسول على تحمل المسئولية.

فكان يكثر أن يرسله -وهو في هذه السن الصغيرة- لأداء بعض المهمات.
وفي يوم أرسله ليسوق الإبل، وكان موسم حج، والزحام شديد، وتأخر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من السهل البحث عن طفل صغير وسط زحام الحج، فأخذ "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" يطوف بالكعبة، وهو يدعو الله -تعالى- ويقول:
ربّي ردّ إلـيّ محمّدا
ربّ واصطنع عندي يدا
ورأي بعض الحجيج "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" في هذا الموقف فتركوا مناسكهم، وأخذوا يبحثون عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسوق الإبل، فاستقبله "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" واحتضنه وهو يبكي ويقول:
"والله لقد جزعت عليك يا بنى جزعًا لم أجزعه على شيء، والله لا أبعثك في حاجة أبدًا، ولا تفارقني بعد هذا أبدًا"
ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo
وأحب الرسول صلى الله عليه وسلم بدوره جده حبًا شديدًا، وتعلق به تعلقًا شديدًا.
واستطاع "عبد المطلب" أن يعوض الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعض حنان أمه الراحلة السيدة آمنة
ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

الرسول صلى الله عليه وسلم وموعد جديد مع الحزن

ولكن هذا الأمر لم يدم طويلًا.
فلم يمر عامان حتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم مع موعد جديد مع الحزن.
مات سيد قريش وجد الرسول.
وحزن النبي صلى الله عليه وسلم حزنًا شديدًا.
وبكي بكاءًا مرًا.
تقول حاضنته "بركة":
"رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينتحي خلف سرير عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يبكي"
ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo
كان الكل مشغولًا بموت سيد قريش.
ولم يلق أحدًا بالًا لهذا الصبي الصغير اليتيم، الذي كان يبكي وحيدًا خلف سرير جده.
لم يلتفت اليه الا حاضنته "بركة"، التي ما لبثت أن التزمت الغلام النبي، وبكت لبكائه، وتذكرت سيدتها "آمنة" فاشتد بكائها.

بكت قريش وحزنت لموت سيدها.
ولكن كان أشدهم حزنًا هو "محمد" صلى الله عليه وسلم.
ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

كان عمر "عبد المطلب" حين توفي (ثمانية وتسعون عامًا)
وكان عمر النبي (ثمانية أعوام)

توفي "عبد المطلب" وحزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزنًا شديدًا
ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

اليتم الثالث في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

كانت وفاة "عبد المطلب" هي اليُتْم الثالث في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
كان اليُتْم الأول حين مات أبوه وهو لا يزال جنينًا في بطن أمه.
وأصعب أنواع اليُتْم هو الطفل الذي لم يرَ أباه أبدًا.
ثم كان اليُتْم الثاني، حين فقد أمه وهو ابن ست سنوات، ودفنها في الصحراء بيده الصغيرة الشريفة.
ثم كان اليُتْم الثالث حين فقد جده "عبد المطلب" وعمره ثمانية سنوات.
ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

اعداد الله للرسول صلى الله عليه وسلم

كان هذا اليُتْم مرة ثم مرة ثم مرة حلقة مهمة في سبيل اعداد الرسول صلى الله عليه وسلم
وكل الأحداث التي مر بها الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وحتى بعثته كانت كلها اعدادًا للرسول صلى الله عليه وسلم

وقد كان من حكمة هذا اليُتْم أن ينشأ الرسول صلى الله عليه وسلم بعيدًا عن الذراع التي تُمْعِن في التدليل، فينشأ شخصية صلبة قادرة على تحمل المسئولية، لأنه سيتحمل -بعد ذلك- مسئولية ضخمة، وهي ليست مسئولية أسرة ولا قبيلة ولا حتى دولة، ولكنه سيتحمل مسئولية العالم كل.

وفي نفس الوقت الذي حفظه الله من ذلك التدليل المفسد، فان الغلام النبي لم يُحْرَم من الحنان الذي يحتاجه كل طفل حتى ينشأ شخصية سوية.

ففي أول عامين كان الحب الشديد من مرضعته "حليمة" وزوجها "الحارث"

ثم كان الحب والحنان والرعاية في كنف أمه القرشية من عمر عامين حتى ستة أعوام.

ثم انتقل الى بيت جده السيد، فكان في رعاية زوجته "هالة بنت وهيب" وهي ابنة عم أمه، ورعاية جده الذي أحبه الى درجة تقديمه على أبنائه جميعًا.

ثم -بعد ذلك- كفالة عمه –كما سنري فيما بعد- وكانت زوجة عمه –فاطمة بنت أسد- تحبه حتى أنها كانت تأخذ الطعام من أبنائها لتعطيه لمحمد صلى الله عليه وسلم

هكذا كان ذلك الإعداد من الله -تعالى- لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يحفظه من التدليل المفرط فينشأ صلبًا قويًا قادرًا على تحمل المسئولية، ويكون في نفس الوقت محاطًا بالحب والحنان والرعاية فتكون شخصيته سوية قويمة.

°°°

آفة اليُتْم في مجتمعاتنا

ان آفة اليُتْم في مجتمعاتنا سواء يتم حقيقي بفقد الأب أو الأم، أو "يتم حكمي" وهم اللقطاء، أو الذي يسجن أبوه أو أمه لفترة طويلة، أو الأسرة التي يهجرها الأب، أو الأب الذي يطلق زوجته ولا يهتم برعاية أبنائه، فكل هؤلاء في حكم الأيتام.

آفة هؤلاء هو أنهم يحرمون من الحنان، فتحدث لهم اضطرابات نفسية، ويصبحون -رغمًا عنهم- عدوانيين وحاقدين على المجتمع.

ولو أحسنا رعاية هؤلاء الأطفال واعطيناهم ما يحتاجون اليه من حب وحنان، لنشأت شخصيات سوية لها قدرات هائلة على تحمل المسئولية.

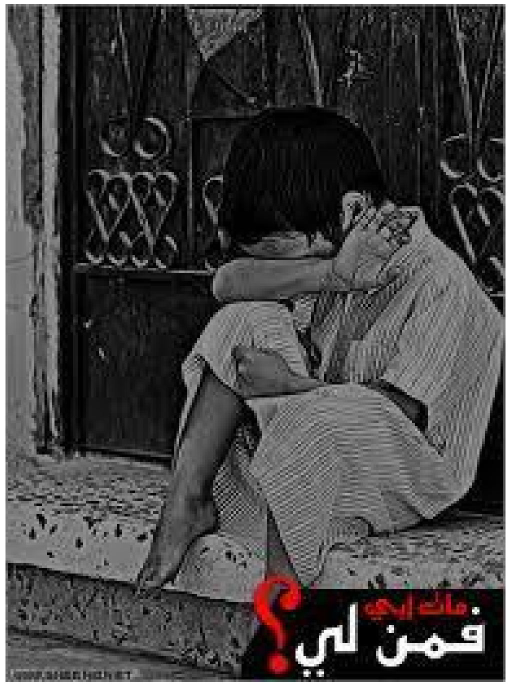

آفة اليُتْم هو الحرمان من الحنان

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

نقطة ثانية في سبيل اعداد الرسول صلى الله عليه وسلم

انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم في ثماني سنوات بين أربعة بيوت:
وهي أولًا بيت "حليمة" و"الحارث" في خيمة في الصحراء.
ثم بيت أمه، ثم بيت جده، ثم بيت عمه.
هذا الانتقال بين أربعة بيوت في ثمانية أعوام فقط، عَلَّمَ النبي صلى الله عليه وسلم المرونة في التعامل مع ظروف الحياة المختلفة.
وهي صفة مهمة لمن أُرْسِّلَ لهداية البشرية كلها، ولم يرسل الى طائفة معينة.
ونحن نري أن الذي يفتقد هذه الصفة الهامة -وهي صفة المرونة- يعاني كثيرًا في عمله وفي حياته الأسرية

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

نقطة ثالثة في سبيل اعداد الرسول صلى الله عليه وسلم

ان المحن التي مرت بالنبي صلى الله عليه وسلم منذ طفولته كموت أمه أمام عينيه.
ثم موت جده الحبيب بعد أن حرم عطف الأب.
هذه المحن حيث خبر صلى الله عليه وسلم اليتم ثلاث مرات، وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة، جعلته صلى الله عليه وسلم رقيق القلب مرهف الشعور.

لأن الأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور وتجعلها أكثر رقة وتواضعًا.

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

مات "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أعوام.
وقبل أن يموت "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" أوصى أن يكفل الرسول صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب.
سيكون الفصل القادم ردًا على شبهة سخيفة، تقيأ بها أحد الحاقدين، الذي سخر حياته البائسة للهجوم على سيد البشر صلى الله عليه وسلم

****

الفصل الرابع عشر: الرد على شبهة الطعن في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

قبل أن نسترسل في حديثنا المبارك عن السيرة العطرة، نتوقف في هذا الفصل حتى نرد على شبهة من الشبهات التي أطلقها أحد أعداء الاسلام، وهي شبهة الطعن في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم (!)

والذي ذكر هذا الأمر قُمُّص اسمه "زكريا بطرس" والقُمُّص هو كبير القساوسة، والمعروف أن هذا القُمُّص قد حصر حياته البائسة في الهجوم على الإسلام، والهجوم على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

شبهة "بطرس"

يقول هذا البطرس أن "عبد الله" والد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبوه "عبد المطلب" تزوجا في يوم واحد، وأن "عبد الله" مات في نفس العام الذي تزوج فيه، و"عبد المطلب" أنجب

"حمزة" وحمزة أكبر من الرسول صلى الله عليه وسلم بأربع سنوات أو بسنتين، فمعنى هذا أن "آمنة" أنجبت الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه بأربع سنوات أو بسنتين.

وهذا يعني أن "عبد الله" ليس هو والد الرسول صلى الله عليه وسلم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم ولد من سفاح (!)

هذا هو ملخص ما توصل اليه العبقري "زكريا بطرس"

°°

نص كلام "زكريا بطرس"

وسأورد لكم ما قاله هذا البطرس بالحرف الواحد قبل أن أرد عليه:

أولًا هو ذكر المراجع التي تثبت أن "حمزة" أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم بعامين أو أربعة أعوام: الإصابة في تمييز الصحابة، والطبقات الكبري، وغير ذلك

ثم يسأله المذيع ببراءة شديدة جدًا: ما أهمية هذا الفرق العمري بين حمزة وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ؟!

فيقول له القمص:

الحقيقة هناك أهمية كبيرة جدًا، وأهميته تتركز في هذا السؤال الخطير الذي يطرح نفسه بعنف، وأرجو ألا يصدم المشاهدين، فهذا مجرد سؤال يحتاج الى اجابة وتوضيح

السؤال هو:

إن كان "عبد الله" أبو "محمد" قد تزوج في يوم واحد مع "عبد المطلب" أبو "حمزة" ومات "عبد الله" في نفس سنة زواجه، فكيف يكون حمزة أكبر من محمد بأربع سنوات؟

واذا وضع السؤال بصورة أكثر وضوحًا، وبرضه محدش يزعل من السؤال، يبقي محمد ابن من هو؟ هل هو ابن عبد الله، رغم انه ولد بعد موت أبيه بأربعة سنوات، أم ماذا؟

ثم يصرخ بعد ذلك بأسلوب مسرحي مضحك جدًا ويقول:

فليأتوا لنا بحالة واحدة من تاريخ الطب على مدى العصور تقول إن طفلا بقي في بطن أمه حيًا هذه المدد التي يقولون عنها، أنا أطالب أساتذة كلية طب جامعة الأزهر ببحث هذا الموضوع علميًا ونشره إن توصلوا إلى هذا الاكتشاف العجيب.

زكريا بطرس **يطعن في نسب الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**

oooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

الرد المفحم على شبهة الطعن في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم.

الحقيقة هذا البطرس يستخدم اسلوب وزير الدعاية في حكومة "هتلر" وكان اسمه "جوزيف جوبلز" كان يقول: اكذب اكذب حتى يصدقك الناس.

وردًا على هذا الهراء نقول:

ذكرنا أن "عبد المطلب" نذر ان رزق بعشرة من الذكور، أن يذبح أحد أبناءه شكرًا لله تعالى.

وقد تزوج "عبد المطلب" ستة من الإناث، وأنجب أثني عشر ذكر وستة اناث.

وكان من هؤلاء الستة اللاتي تزوجهن "عبد المطلب" "هالة بنت وهيب" وأنجبت له "هالة" أربعة وهم: المقوم، والمغيرة، وحمزة، وصفية، أي أن "هالة" أنجبت له ثلاثة ذكور، فاذا طرحت ثلاثة من اثني عشر، وهم كل أولاد "عبد المطلب" من الذكور، تكون النتيجة تسعة.

أي أن "عبد المطلب" لم ينجب قبل أن يتزوج "هالة" الا تسعة فقط، ومعنى ذلك أن "عبد المطلب" قبل أن يتزوج "هالة" لم يكن قد أكمل عدد العشرة الذكور، وهو العدد الذي نذر أن يذبح عنده أحد أبناءه الذكور.

اذن واقعة اختيار "عبد الله" لأن يذبح لم تحدث الا بعد زواج "عبد المطلب" من "هالة" وانجابه منها

اذن هناك استحالة أن يكون "عبد المطلب" قد تزوج مع ابنه "عبد الله" في نفس اليوم أو حتى في نفس الفترة.

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

رواية زواج "عبد المطلب" و"عبد الله" في يوم واحد: رواية ضعيفة

موضوع زواج "عبد المطلب" في نفس الوقت مع "عبد الله" أمر مذكور في أحد كتب التاريخ، ونحن المسلمون لا نأخذ ديننا من كتب التاريخ، وانما نأخذه من القرآن والسنة الصحيحة أما كتب التاريخ ففيها الصحيح والغير صحيح

وهذه الرواية قالها رجل اسمه "محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي" وهذا الرجل قال عنه البخاري "متروك الحديث"، وقال عنه مسلم "متروك الحديث"، وقال عنه أحمد بن حنبل "كذاب"، وقال النسائي "معروف بالكذب على رسول الله"، وقال الحاكم "ذاهب الحديث"، وقال الذهبي "مجمع على تركه" الى جانب أقوال الكثير من علماء الجرح والتعديل

oooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

<u>رد ثانٍ على هذه الشبهة</u>

إذا فكرت قليلًا لوجدت في سيرة الرسول ﷺ أبلغ الرد على هذا الهراء

لأن من قام بكفالة الرسول ﷺ هم أهل أبيه، وهم: جده "عبد المطلب" ثم عمه "أبو طالب" منذ كان الرسول ﷺ عمره ستة أعوام، وحتى بلغ خمسة وعشرين عامًا وتزوج، ولو كان الرسول ﷺ ولد بعد وفاة "عبد الله" فكيف سيربيه جده لأبيه وعمه شقيق أبيه؟!

وقد كان من أعمام النبي ﷺ "أبو لهب" وهو من أشد أعداء النبي ﷺ ولم يذكر "أبو لهب" ولو مرة واحدة، موضوع نسب النبي ﷺ ولو يعلم أن هناك أي شبهة في نسب الرسول ﷺ لأخيه "عبد الله" لما أضاع هذه الفرصة السانحة في التشنيع على الرسول ﷺ

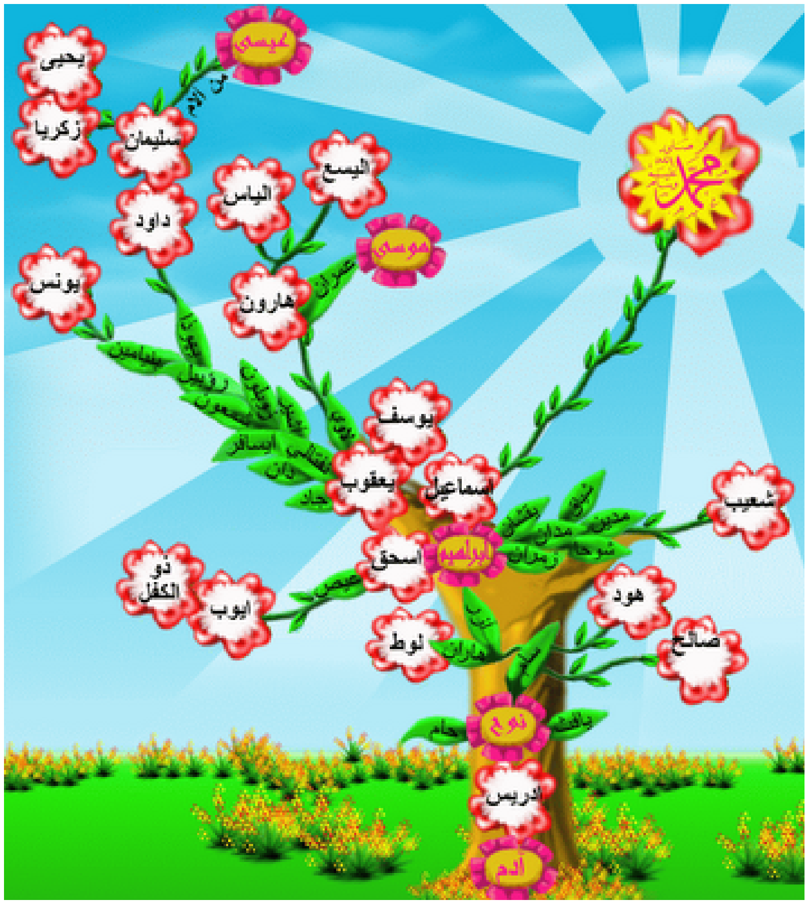

شجرة نسب الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم جميعًا

°°°

رد ثالث:

اتهم مشركو قريش النبيَ ﷺ وقالوا عنه أنه ساحر وكاهن ومجنون، وهم يعلمون جيدًا أنه ليس ذلك، ولكن لم يطعن أحدهم في نسبه ﷺ، ولو كان عند أحدهم أي شك، لما فوت هذه الفرصة، وقد كان معروفًا أن العرب أهل تفاخر بالأنساب والسلالات.

فاذا كانوا يتهمونه بأمور يعلمون أنها ليست فيه، فكيف يفوتون فرصة اتهامه بشيء يعلمون أنه فيه؟

°°

رد رابع

عندما هاجر المسلمون الى الحبشة الهجرة الأولى، سافر الى الحبشة "عمرو بن العاص" وكان في ذلك الوقت لا يزال على كفره، وطلب من النجاشي أن يسلمه المسلمين الذين هاجروا الى أرضه، فوقف "جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ" يدافع عن المسلمين، وقال:

"أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، وَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْنَا رَسُولا مِنَّا "نَعْرِفُ نَسَبَهُ" وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ"

الى آخر هذه الخطبة الرائعة والتي كانت سببًا في اسلام النجاشي وكان نصرانيًا

والذي خطب هذه الخطبة –كما ذكرت- هو "جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ" ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد بعد وفاة أبيه بعامين فهل كان ابن عمه يشهد له هذه الشهادة، ويقول في خطبته "نَعْرِفُ نَسَبَهُ"؟

وهذه الخطبة كانت أمام "عمرو بن العاص" -وكان كما قلنا لا يزال على كفره- وقد ذهب الى الحبشة ليسترد المسلمين، وهو يريد أن يتصيد أي خطأ، فكيف لم يعترض على "جعفر" وهو يقول "نَعْرِفُ نَسَبَهُ" الا اذا كان متأكدًا أن هذه النقطة لا يستطيع أن يقترب منها.

°°

رد خامس:

عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة، وبدأت الحروب بينه وبين قريش، وصلت أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الى "هرقل" قيصر الروم.

وانتهز قيصر فرصة وجود تجار من قريش في الشام فارسل اليهم، وكانوا جميعًا على الكفر، وفيهم "أبو سفيان بن حرب" وهو رأس الكفر في ذلك الوقت، وأخذ يسألهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أسئلة كثيرة، فكان من هذه الأسئلة أنه قال:

- كيف نسبه فيكم؟

فأجابه أبو سفيان: هو فينا ذو نسب.

فقال قيصر:

- وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

يعنى من سنن الله -تعالى- أن يبعث الرسل في أفضل نسب؛ حتى يكون عاملًا مساعدًا على التفاف الناس حوله

والشاهد أن قيصر سأل عن نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب "أبو سفيان" -وكان في ذلك الوقت كافرًا بل كان زعيم جبهة المشركين- فقال "هو فينا ذو نسب"

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

رد سادس:

في صلح الحديبية، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يملي شروط الصلح ويقول:

- هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

فرد الكفار وقالوا:

- لَا نُقِرُّ بِهَا فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أَنْت: "مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ"

والذي قال هذا الكلام، وشهد هذه الشهادة هم الكفار وليس المسلمون.

°°°

رد سابع:

في غزوة "حنين" عندما انكشف المسلمون، وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجمع المسلمون مرة أخري، وقف صلى الله عليه وسلم ينادي بأعلى صوته "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"

ولم يرد عليه أحد من أعدائه، وكانوا أثني عشر ألفًا.

شجرة نسب الرسول الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

oooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

وبعد يا زكريا بطرس ليس أمامك الا <u>أمرين اثنين لا ثالث لهما</u>:

اما أن ترد على هذا الكلام -وأنت لن تستطيع أن ترد عليه-

واما أن تعتذر عن كل كلمة قلتها.

وأنا متأكد أنك أضعف من أن ترد.

وأضعف من أن تعترف بخطئك.

والحمد لله على نعمة الاسلام وكفى بها نعمة.

****

الفصل الخامس عشر: في بيت أبي طالب

°°°

تحدثنا في فصل سابقة عن وفاة "عبد الله" والد النبي صلى الله عليه وسلم والرسول صلى الله عليه وسلم لا يزال جنينًا في بطن أمه، ثم وفاة أمه، وعمره صلى الله عليه وسلم ستة سنوات

وذكرنا أن وفاة "عبد الله" كانت في "يثرب" والتي أصبحت "المدينة المنورة" بعد ذلك، حيث كان "عبد الله" في رحلة تجارية هناك، ووفاة "آمنة" أم الرسول ﷺ أيضًا وهي في طريق عودتها من يثرب الى مكة، بعد أن أخذت الرسول ﷺ لتزويره أخواله "بنى النجار" في يثرب.

وبرغم من أن النبي ﷺ مات أبوه وأمه في المدينة، فانه لم يتشاءم من المدينة، بل على العكس أحب المدينة حبًا شديدًا، وأصحبت هي دار هجرته، وهي أفضل مكان عنده وعند المسلمين بعد مكة المكرمة، ثم مكان وفاته بعد ذلك، والأحاديث في فضل المدينة كثيرة لا حصر لها

وهذا معنى هام:

وهو أن التشاؤم ليس من الاسلام، بل ان الإسلام نهي نهيًا شديدًا عن التشاؤم، يقول الرسول ﷺ "الطيرة شرك" حديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه و"الطيرة" يعنى التشاؤم، و"شرك" يعنى ذنب كبير وكبيرة من الكبائر.

وكلمة "الطيرة" جائت من "الطير" لأن العرب في الجاهلية كان الواحد منهم يذهب الى مجموعة من الطيور ويخيفها، فاذا طارت جهة اليمين تفائل، وإذا طارت جهة الشمال تشاءم.

لذلك فان "الطيرة" من عادات الجاهلية، وللإسف الى الآن لا يزال كثير من الناس يتشائمون بعدد غير محدود من الأشياء، مثل رقم 13، والقطة السوداء، والغراب، والعين الشمال عندما ترف، والمقص المفتوح، والشبشب المقلوب، وهكذا.. وكل هذا ليس من الإسلام.

oooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

"عبد المطلب" يهتم بتحديد المسؤول عن الرسول ﷺ بعد وفاته.

كنا قد انتهينا في فصل السابق حين مات "عبد المطلب" وقلنا إن "عبد المطلب" قبل موته أوصى بأن يكفل الرسول ﷺ عمه "أبو طالب"

قال "عبد المطلب" وهو على فراش الموت، وحوله أبنائه:

- يا أبا طالب.

قال أبو طالب:

- لبيك يا سيد قريش.

قال عبد المطلب:

- ليكن "محمد" ابن أخيك في كفالتك.

قال أبو طالب:

- "محمد" أحب الىَّ من بعض أبنائي يا سيد قريش.

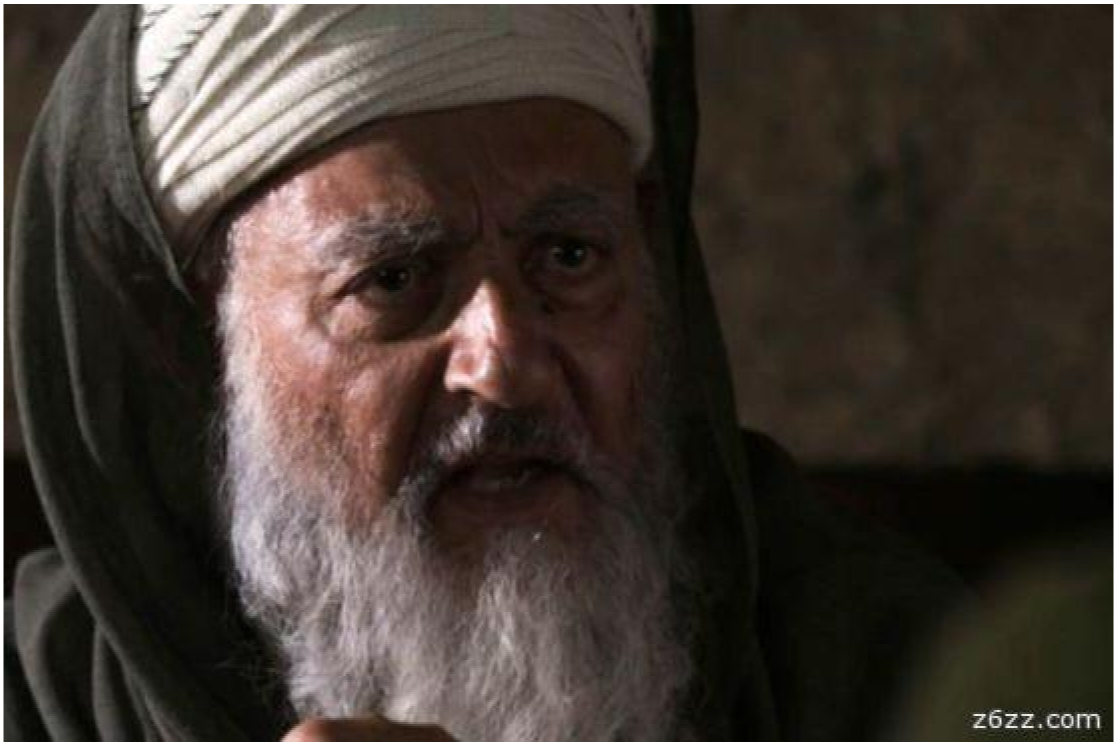

"محمد" أحب اليَّ من بعض أبنائي يا سيد قريش.

°°°

هكذا اهتم "عبد المطلب" بتحديد المسؤول عن حفيده النبي قبل موته.

للأسف الكثير من الآباء تضطرب حياة أسرهم بعد موتهم، لأنهم لم يهتموا بتنظيم حياة أسرهم بعد موتهم.

ولكن "عبد المطلب" لم يترك موضوع كفالة الرسول صلى الله عليه وسلم دون تحديد، وانما عين المسؤول عنه بعد موته.

°°°

حكمة "عبد المطلب" في اختيار "أبو طالب" لكفالة الرسول صلى الله عليه وسلم

واختيار "عبد المطلب" لأبي طالب يدل على حكمته.

لأن الأقرب للتفكير هو أن يحمِل هذه المسئولية أكثر أبناءه مالًا، وقد كان من أبنائه من كان غنيًا، مثل العباس، أو يتركها لمن ليس أبناء، وقد كان بالفعل من ابناءه من ليس له أبناء.

ولكن "عبد المطلب" على عكس ذلك اختار "أبي طالب" وقد كان فقيرًا وكان عنده أبناء.

مما يدل على أن اختيار "أبي طالب" لم يكن عشوائيًا، وانما لحكمة، وهي أنه:

أولًا: "أبو طالب" هو الأخ الشقيق الوحيد لعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سيكون هو أكثرهم حنانًا عليه وشفقة به، وقد كان كذلك.

السبب الثاني: أن "أبو طالب" كان هو أكثر أبناءه حكمة وحزم فلذلك هو أفضلهم لكفالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

السبب الثالث: أن زوجة "أبي طالب" وهي "فاطمة بنت أسد" كانت هي أكثر زوجات ابناءه حنانًا وعطفًا، وأكثر ما يحتاجه الغلام النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة من حياته هو حنان الأم.

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أبي طالب

انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى بيت عمه "أبو طالب"

ولم يكن بيت "أبو طالب" غريبًا على الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو البيت الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم.

وكانت دار "أبي طالب" في أول شعب أبي طالب.

و"الشعب" هو الطريق بين جبلين، لأن مكة محاطة بالجبال، فشعب أبي طالب هو المكان الذي كان يسكن فيه "بنو هاشم" بمكة، وقد أطلق عليه شعب أبي طالب لأن بيت "أبو طالب" هو أول بيت في الشعب.

وهذا المكان معروف الى الآن، وهو المكان المقامة عليه الآن مكتبة "مكة المكرمة" فحين تكون في "مكة" وتأتي هذا المكان، فاعلم أنه أولًا المكان الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم هو -أيضًا- المكان الذي عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لمدة 17 سنة، من سن 8 سنوات حتى تزوج وعمره 25 عام

موقع بيت "أبو طالب" من المسجد الحرام

موضع المكان الذي ولد وعاش فيه الرسول 17 سنة

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

أبو طالب

كان سن الرسول صلى الله عليه وسلم حين انتقل الي بيت عمه "ابو طالب" ثمانية سنوات، بينما كان سن "أبي طالب" واحد وثلاثون عامًا.

و"أبو طالب" اسمه "عبد مناف بن عبد المطلب" ولكن اشتهر بكنيته.

والكنية هي الاسم الذي نبدأه بأب أو أم أو ابن، مثل أبو محمد، أم عمر، ابن الخطاب، فأبو طالب اشتهر بهذه الكنية، و"طالب" هو أكبر أبنائه.

وانتقلت سيادة قريش بعد وفاة "عبد المطلب" الى ابنه "أبو طالب"

وكان "أبو طالب" فقيرًا فتنازل عن السقاية –يعنى سقاية الحجيج- الى أخيه "العباس" لأن العباس كان موسرًا، واكتفي فقط بالرفادة، أي اطعام الحجيج

وكان "أبو طالب" متزوجًا من "فاطمة بنت أسد" ولم يتزوج "أبو طالب" الا "فاطمة بنت أسد" وكان هذا أمرًا غريبًا عند للعرب.

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

"فاطمة بنت أسد" الأم الخامسة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينادي عمه "أبو طالب" فيقول "يا عم" ولكنه كان ينادي زوجة عمه بـ "يا أمي"

وقد كانت السيدة "فاطمة بنت أسد" هي الأم الخامسة في حياة الرسول ﷺ

فأمه الأولى هي السيدة "آمنة" ثم "بركة" التى أرضعته، ثم "حليمة" التي أرضعته كذلك، ثم "هالة بنت وهيب" زوجة جده "عبد المطلب" ثم "فاطمة بنت أسد" والتى كانت أم له منذ سن ثمانية سنوات، حتى تزوج وعمره خمسة وعشرون عامًا

وقد كانت "فاطمة بنت أسد" من أهم أسباب اختيار "عبد المطلب" أن يكون الرسول ﷺ في بيت عمه "أبو طالب" لأن "عبد المطلب" كان يدرك أن "فاطمة بنت أسد" هي أكثر زوجات أبنائه حنانًا وعطفًا.

ونلحظ أن السيدة "آمنة بنت وهب" أم النبي ﷺ قد اختارت أن تلد في بيت "فاطمة بنت أسد" مما يدل كم كانت السيدة "آمنة" قريبة من "فاطمة بنت أسد".

°°°

وكان "أبو طالب" فقيرًا قليل المال، لأنه كان مثقلًا بالتزاماته تجاه قريش، وأهمها "الرفادة" يعنى هو المسئول عن اطعام الحجيج.

ولذلك فربما كان الطعام قليلًا ولا يكفي من في البيت، وكان الرسول ﷺ يستحي وهو في هذه السن الصغيرة أن يمد يده للطعام، فكانت السيدة "فاطمة بنت أسد" تأخذ الطعام من أبنائها وتعطيه للرسول ﷺ.

وربما كان الطعام لقلته يُقَّسم على أهل البيت فتعطي "فاطمة بنت أسد" نصيبها للرسول ﷺ.

وكانت –رضى الله عنها- من السابقات في دخول الإسلام، فكانت ثاني امرأة دخلت في الاسلام بعد السيدة "خديجة"

وفي السنة الرابعة من الهجرة، في المدينة، أقبل "على بن أبي طالب" ذات يوم إلى النبي ﷺ باكيا وهو يقول:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال له الرسول ﷺ:

- مه يا علي.

قال على:

- ماتت أمي فاطمة.

فبكى النبي ﷺ وذهب وجلس عند رأسها يبكي ويقول:

-رحمك الله يا أمي.

- كنت أمي بعد أمي.

- تجوعين وتشبعينني.

- وتعرين وتكسينني.

- وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعمينني.

فلما دفنت -رضى الله عنها- وقف الرسول ﷺ عند قبرها يبكي حتى علا نحيبه (ارتفع صوت بكائه ﷺ)

قبر السيدة "فاطمة بنت أسد" في البقيع في المدينة

°°

الأبناء

وأنجب أبو طالب من "فاطمة" ستة من الأبناء: أربعة ذكور، واثنين من الإناث:

- طالب بن أبي طالب، وهو أكبر أبنائه، وبه كنى
- عقيل بن أبي طالب، وكان أحب أبناء أبي طالب اليه
- جعفر بن أبي طالب، الشهيد الطيار.
- علي بن أبي طالب، المبشر بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين
- فاختة بنت أبي طالب، وقد اشتهرت بكنيتها "أم هانيء"
- جمانة بنت أبي طالب، أصغر من الرسول صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر عامًا.

هؤلاء عاش معهم الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت واحد.

وحين انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى البيت لم يكن موجودًا الا "طالب" و"عقيل" وربما "فاختة"

ولم يكن قد جاء "على" ولا "جعفر" ولا "جمانة"

وقد أسلموا بعد ذلك جميعًا.

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب العمل

كان "أبو طالب" كما قلنا فقيرًا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم طفلًا عنده ثمانية سنوات، ولكنه كان ناضجًا ذكيًا، فطلب من عمه "أبو طالب" أن يخرج للعمل.

وبالفعل خرج الرسول صلى الله عليه وسلم للعمل في هذه السن المبكرة، فعمل في رعي الأغنام.

وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السن المبكرة كان له تأثيرًا ايجابيًا على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بعكس الاعتقاد أن عمل الطفل له تأثيرًا سلبيًا عليه، ولكن الأعمال التي تؤثر سلبيًا على الطفل هي الأعمال الخطرة، أو الأعمال التى تعيق التعليم الأطفال.

أما غير ذلك فان عمل الطفل يكسبه صفات كثيرة جيدة، لعل أهمها الجدية والقدرة على تحمل المسئولية

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري:

"ما بعث الله نبيًا الا رعي الغنم"

فقال الصحابة: وأنت؟

قال: "نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"

والقراريط هي أجزاء الدراهم والدنانير.

يعنى كان يعمل أجيرًا عن أهل مكة، يرعي لهم أغنامهم مقابل أجرة ضئيلة.

oooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

أثر رعي الأغنام على شخصية صاحبه.

توقف العلماء أمام هذا الحديث، وقالوا إذا كان جميع الأنبياء قد عملوا في رعي الأغنام، فلابد أن طبيعة العمل في رعي الأغنام يطبع شخصية صاحبه بصفات هي ضرورية لكل نبي

من هذه الصفات:

صفة الصبر:

لأن الأغنام بطيئة في أكلها، والراعي يظل مع الغنم من طلوع الشمس الى غروبها، فيكتسب لذلك الراعي صفة الصبر.

التواضع:

لأن طبيعة عمل الراعي هي خدمة الغنم، والإشراف على ولادتها، وحراستها، وينام قريبًا منها، وربما يصبه رذاذ من بولها، أو شيء من روثها، فلا يتضجر من هذا، وبمرور الوقت يرتكز في نفسه خلق التواضع.

الشجاعة:

من أساسيات عمل الراعي الاصطدام بالوحوش المفترسة لحماية أغنامه منها، فيكسبه ذلك صفة مهمة لكل نبي، وهي صفة الشجاعة

العمل في رعي الأغنام يكسب صاحبه بصفات ايجابية كثيرة

.....

هكذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

وهكذا كانت حياة الغلام الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السن، يعمل في رعي الأغنام، ويكتسب من هذا العمل الكثير من الصفات الهامة لتكوين شخصيته.

وينعم في نفس الوقت برعاية وحب وحنان وعطف عمه "أبو طالب" وزوجة عمه "فاطمة بنت أسد"

ولا شك أنه كان كأي طفل يلهو ويلعب مع أقرانه، حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر عامًا فطلب من عمه "أبو طالب" أن يخرج معه في رحلاته التجارية.

وهذا سيكون حديثنا في الفصل القادم ان شاء الله تعالى

****

الفصل السادس عشر: لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم مع بحيري الراهب

°°

°°

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلة تجارية الى الشام

ذكرنا أن "عبد المطلب" جد النبي صلى الله عليه وسلم مات وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أعوام، فانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى كفالة عمه "أبو طالب"
وكان "أبو طالب" فقيرًا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك، وكان صلى الله عليه وسلم حييا، فطلب من عمه أن يخرج للعمل، وبالفعل خرج صلى الله عليه وسلم للعمل في هذه السن الصغيرة، فعمل في رعي الأغنام.
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كلما سافر عمه للتجارة يطلب منه أن يسافر معه، فكان "أبو طالب" يؤخره لصغر سنه.
حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر عامًا، فاصطحبه عمه في رجلة تجارية متجهة الى الشام.
والشام هي المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط، والتي تضم الآن: فلسطين، ولبنان، وغرب الأردن، وغرب سوريا.

°°

وصلت الرحلة الى مدينة "بُصْري" (بضم الباء وسكون الصاد) والتي تقع الآن في جنوب سوريا، قريبًا من حدود سوريا مع الأردن، وتبعد عن العاصمة دمشق بـ 140 كم.
وكانت مدينة "بُصْري" في ذلك الوقت مركزًا تجاريًا.

وكان في مدينة "بُصْري" دير معروف.
(الدير هو البيت الذي يتعبد فيه الرهبان، والراهب هو الرجل على النصرانية الذي يتفرغ للعبادة، ولا يتزوج، ولا يأكل الا الضروري من الطعام)
وكان في هذا الدير في مدينة "بُصْري" راهب مشهور بعلمه الغزير وسعة اطلاعه اسمه "بحيري" وأطلقوا عليه "بحيري الراهب"

خرج الرسول ﷺ مع عمه في رحلة تجارية الى الشام

°°

بحيري الراهب يتعرف على الرسول ﷺ

اقتربت القافلة من الدير، وقبل أن يحلو رحالهم (يعنى قبل أن ينزلوا أمتعتهم ليستريحوا) وجدوا أن بحيري الراهب قد خرج من الدير، واقترب منهم، وأخذ يمر بينهم وينظر في وجوههم.
فتعجبوا لذلك، لأن "بحيري" لم يكن يخرج إليهم من قبل، ولا حتى يلتفت لهم.
حتى عندما يكون خارج الدير في زراعة مثلًا ويمرون به كان لا يلتفت إليهم ولا ينظر إليهم.

أخذ هذا الراهب يمر بينهم وهم يحلون رحالهم، وينظر في وجوههم، حتى رأي الغلام الرسول ﷺ فتوقف أمامه فجأة، وأحدق فيه النظر، ثم لم يلبث أن أمسك بيده وقال:

- هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين.

فقال رجال من قريش:

- وما علمك بهذا ؟

قال:

- إنّكم حين أشرفتم من العقبة (والعقبة هي مرتفع من الأرض) لم يبق شجر ولا حجر إلاّ خرّ ساجداً، ولا يسجدون إلاّ لنبيّ !

(ملاحظة: صفة الرسول ﷺ موجودة في التوارة والانجيل قبل تحريفهما بمنتهي الدقة، يقول تعالى في سورة البقرة: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ)

ثم طلب أن ينظر في ظهر الغلام ﷺ، فلما نظر الى ظهره رأي خاتم النبوة.

(خاتم النبوة: هي شامة فيها بضع شعرات، وهي من العلامات المذكورة في التوراة والانجيل قبل تحريفهما)

رأي "بحيري الراهب" الشامة فتأكد أن هذا الغلام هو نبي آخر الزمان، الذي بشر به موسي وعيسى -عليهما السلام-

قال بحيري: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين

لم يملك بحيري الراهب الا أن بكي واحتضن الغلام الرسول ﷺ وقبل رأسه ويديه.
ثم ترك القافلة وهرول مسرعًا ليعد لهم طعامًا ترحيبًا بهم، ثم عاد فلم يجد الرسول ﷺ فسأل عنه فقالوا انه يرعي الإبل، فأرسلوا الى الرسول ﷺ فأقبل عليهم وعليه سحابة تظله، فقال لهم بحيري الراهب:

- انظروا الى هذه الغمامة التى تظله!

فلما اقترب وجد أن القوم قد سبقوه الى ظل الشجرة، فلما جلس ﷺ في الشمس، مالت الشجرة حتى أظلته، فقال لهم الراهب:

- انظروا إلى ظل الشجرة كيف مال عليه.

ووجد الراهب أن الرسول ﷺ مع أبو طالب، فسأل أبي طالب:

- ما هذا الغلام منك ؟ (يقربلك ايه)

فقال أبو طالب:

- ابني.

(لم يقصد أبو طالب الكذب، ولكنه كذلك كان يعتبر ابن أخيه ﷺ)

فقال بحيري:

- ما ينبغي أن يكون له أب حى!

(مش ممكن يكون أبوه حي، لأن صفته ﷺ في كتبهم أنه ولد يتيم الأب)

فقال أبو طالب:

- فانه ابن أخي.

فنظر الراهب في عيني أبو طالب، وقال له في جدية:

- ارجع بابن أخيك إلى بلدك، واحذر عليه اليهود والروم فانهم ان رأوه عرفوه، وان عرفوه ليبلغنه شرًا.

قال أبو طالب:

- كيف سيعرفونه؟

قال الراهب:

- سيعرفونه كما عرفته.

ومازال بحيري بأبي طالب حتى أقنعه ألا يكمل الرسول ﷺ رحلته الى الشام، وأن يعيده الى مكة مرة أخري.

°°°

بحيري الراهب أول من آمن بالرسول ﷺ

يمكن أن يكون بحيري الراهب هو أول من آمن بالرسول ﷺ وقد حاز هذا الفضل بعلمه وعمله، لأنه عرف الرسول ﷺ بصفته التي قرأها في الكتب، وعرفه بعبادته حين تحققت له تلك الكرامة، وهي رؤية الأشجار وهي تسجد للرسول ﷺ.

ودير بحيرا الراهب لا يزال موجودًا الى الآن بمدينة "بصري" في سوريا، وهي من المعالم التاريخية التي يقصدها السياح.

دير بحيرا الراهب في مدينة بصري بسوريا

* * * * * * * * *

الفصل السابع عشر: حضور الرسول ﷺ حرب الفِجَار، وحلف الفضول

°°°

°°°

:اشتراك الرسول ﷺ في حرب الفِجَار

عندما بلغ الرسول ﷺ أربعة عشر عامًا، وقع حادث هام في الجزيرة، وهو وقوع حرب بين قبائل كنانة –والتي قريش أحد فروعها- وبين قبيلة "هوازن" ومن معها من قبائل.

وكان سبب الحرب أن رجلًا من "هوازن" أهان رجلًا من "كنانة"، فقتل الرجل من "كنانة" الرجل من "هوازن".

وكما ذكرنا من قبل أن الحروب بين القبائل العربية كانت تنشب لأسباب تافه، وقد تستمر لفترات طويلة.

وبالفعل استمرت هذه الحرب ستة أيام، ثم ظلت تتجدد كل سنة في نفس الموعد الذي اندلعت فيه، وذلك لمدة أربعة سنوات (!)

وأطلق على هذه الحرب "حرب الفِجَار" (بكسر الفاء، وفتح الجيم)

وكلمة "الفِجَار" جاءت من الفجور، لأن القتال بدأ فيها في أحد الأشهر الحرم، وكانت العرب تحرم القتال في الأشهر الحرم وتعظمه.

°°

وحضر الرسول ﷺ بعض أيام هذه الحرب، ولاحظت "كنانة" -والتي كان الرسول ﷺ يحارب في جانبها- أن الرسول ﷺ إذا حضر المعركة تغلب "كنانة"، وإذا لم يحضر تنهزم، حتى قالوا له "لا تغب عنا"

ويتحدث الرسول ﷺ عن دوره في المعركة فيقول:

"كُنْتُ أُنَبِّلُ عَلَى أَعْمَامِي"

والنبل هو السهم.

ومعنى "أُنَبِّلُ عَلَى أَعمَامِي" يعنى أناول السهام لأعمامي.

فكان دور الرسول ﷺ في المعركة -لأن سنه كان صغيرًا- أن يناول السهام لأعمامه ليرموا بها، وأن يجمع السهام التي يرمي بها العدو من أرض المعركة ثم يناولها لأعمامه.

وبعد ذلك عندما تقدم به العمر قليلًا -لأن حرب الفجار استمرت حتى بلغ الرسول ﷺ سبعة عشر عامًا- بدأ يرمي السهام، يقول الرسول ﷺ:

"ورميت فيه باسهم"

°°

وهكذا كان اشتراك الرسول ﷺ في هذه الحروب اشتراكًا محدودًا، لم يلتحم فيه بقتال.

وكأن الله تعالى عصم الرسول ﷺ من الاشتراك الكامل في هذه المعارك، لأنها كانت معارك بلا هدف.

ولكن كان وجود الرسول ﷺ في أرض المعركة عدة أيام، واشتراكه النسبي في القتال، تجربة مهمة، تعلم منها الرسول ﷺ بعض فنون القتال والحرب والعسكرية، لأنه بعد ذلك سيقود معارك كثيرة بعد الهجرة لمدة عشرة سنوات كاملة

°°

حضور الرسول ﷺ حلف الفضول

عندما بلغ الرسول ﷺ عشرين سنة، وقعت قريش معاهدة أطلق عليها "حلف الفضول"

وهي معاهدة تعاهدوا فيها على نصرة المظلوم والوقوف في وجه الظالم

وقصة هذا الحلف:

أن رجلًا من اليمن قدم ببضاعة الى مكة، فأخذها منه "العاص بن وائل" على أن يعطيه ثمنها -وهو أحد سادة قريش وأبو الصحابي عمرو بن العاص- ولكن "العاص بن وائل" لم يعطه ثمنها، فشكا هذا الرجل الى أشراف مكة، ولكن لم يقف أحد الى جواره وذلك لمكانة "العاص بن وائل" فيهم.

فوقف هذا الرجل عند الكعبة وأخذ يستغيث بأهل مكة، فقام "الزبير بن عبد المطلب" عم النبي ﷺ لينصر هذا الرجل، وقال: ما لهذا مترك؟

(يعنى لماذا هذا الرجل المظلوم متروك ولا أحد ينصره؟)

واجتمع لذلك بعض أهل مكة، في بيت رجل اسمه "عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ" وكان أحد سادات قريش، وتحالفوا جميعًا على أن يكونوا يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يردوا اليه حقه.

وكان أول ما قام به هذا الحلف هو أنهم مشوا الى "العاص بن وائل" وأخذوا منه سلعة الرجل اليمنى وردوها اليه.

وقد حضر الرسول ﷺ هذا الحلف مع أعمامه، وكان معتزًا بحضوره هذا الحلف، لأنه حلف يحارب الظلم، ويقف بجوار المظلوم يقول الرسول ﷺ:

لَقَدْ شَهِدْتُ في دَارِ "عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ" حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ"

يعنى حضوري هذا الحلف كان أحب اليَّ من أي شيء

°°

اذن لم يكن الرسول ﷺ في معزلٍ عن قومه، بل -على العكس- كان مشاركًا في الحياة العامة، فنجده مشاركًا في بعض المعارك، ومشاركًا في حلف الفضول.

وهذا على الرغم من أن الرسول ﷺ كان رافضًا لمعتقدات العرب الشركية، ورافضًا لكثير من أشكال الحياة لهذا المجتمع، من انتشار الزنا، وشرب الخمر، وأنواع الزواج الغريبة، وتفشي الظلم، وغير ذلك الكثير.

ولكن مع هذا الرفض لم يكن ﷺ منعزلًا عن هذا المجتمع، بل كان على العكس مشاركًا في الشأن العام.

للأسف بعض الشباب، عندما يتدين ينعزل عن المجتمع، بل ينعزل أحيانًا عن اهل بيته.

°°

وتجد الكثير من الشباب يصر على هيئة معينة في ملابسه، كأنه يعلن بذلك رفضه وانعزاله عن هذا المجتمع.

أذكر أن شابًا ملتحيًا تقدم للعمل في مؤسسة خيرية أشرف برئاستها، وقبلت هذا الشاب للعمل، ثم قالوا لي أنه يأتي الى العمل مرتديًا جلبابًا، وأنه يصر ألا يأتي الا بهذه الهيئة، فقابلته وقلت له "أنت تعلم أن الجلباب -والذي كان يطلق عليه قديمًا القميص- ليس من السنة" ولكنه أصر على هذه الهيئة، وترك العمل بسبب ذلك.

ان الشاب عندما يتدين يجب أن يكون لك دور في اصلاح المجتمع، فكيف سيقوم بهذا الدور وهو رافضًا لمجتمعه منعزلًا عنهم؟!

وبعض الشباب عندما يتدين ينظر الى المجتمع نظرة تعالى، كأنه يقول في نفسه: أنا أفضل منهم، أنا متدين وهم بعيدين عن الله.

وتكون النتيجة أن غير المتدين سينفر من المتدين، لأنه يشعر انه يتعالى عليه، والإنسان بطبيعته ينفر من الشخص الذي يتعالى عليه.

هذا الفصل والذي قبله هامين جدًا:

أولًا: قيمة العلم والعمل، وقد رأينا أن "بحيري الراهب" تعرف على الرسول ﷺ بعلمه وعمله.

ثانيًا: أهمية عدم انعزال الشباب المتدين عن المجتمع، بل على العكس يجب عليهم الاندماج في المجتمع، والمشاركة دائمًا في الشأن العام.

* * * * * * * * *

الفصل الثامن عشر: فترة شباب الرسول ﷺ

مر الرسول ﷺ بما نقول عليه الآن "فترة المراهقة" وهي الفترة التي تنتقل بالإنسان من الطفولة إلى الرشد، وهي تستغرق حوالي عشرة أعوام من عمر الانسان.

ولكنها كانت بالنسبة للرسول ﷺ كما يطلق علماء التربية عليها الآن "مراهقة سوية"

كان الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة ملتزمًا أخلاقيًا، فلم يشارك أهل مكة في أي عمل من أعمال الجاهلية، فهو بالطبع لم يسجد لأي صنم، أو توجه لها بالدعاء، أو ذبح لها، ولم يستسقم بالأزلام، ولم يذق الخمر أبدًا، ولم يلعب الميسر، ولم يقترب من الزنا، ولم يذهب الى أي كاهن أو عراف.

°°°

عصمة الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

هم الرسول صلى الله عليه وسلم يومًا -بدافع الفضول- أن يشارك قريش في سمرهم (يعنى يسهر سهرة) ولكن الله -تعالى- عصمه من ذلك.

ويقص علينا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القصة فيقول إنه كان يرعي الغنم في بعض ضواحي مكة، وكان معه غلام من قريش، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم -:

- **لَوْ** أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ، فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ؟

(يعنى تخلى بالك من الغنم بتاعي، عقبال ما أروح مكة أسهر مع الشباب)

فقال الغلام:

- أَفْعَلُ. (ما فيش مانع)

فلما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من أحد الأفراح، غلبه النوم، فنام في مكانه حتى أيقظته أشعة الشمس في اليوم التالي، فعاد الى غنمه.

وفي الليلة التالية حدث نفس الموقف، ما ان اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من أحد الأفراح حتى غلبه النوم فنام في مكانه، حتى أيقظته أشعة الشمس في اليوم التالي.

وهكذا عصم الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يقترب من أماكن اللهو ولو مرة واحدة.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم للغلام لَوْ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ

°°

رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في الزواج من "فاختة" بنت عمه

ومثل أي شاب ملتزم أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتزوج، وأن يكون أسرة. وكان معه في بيت عمه -الذي يعيش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم- بنت عمه "فاختة بنت ابي طالب" والتى عرفت بعد ذلك باســـم "أم هانيء"

واراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج من "فاختة" بنت عمه، فطلب من عمه أن يزوجه منها.

ولكن في نفس الوقت طلبها للزواج رجل من قريش اسمه "هبيرة بن أبي وهب" وهو من "بنى مخزوم" أحد بطون قريش، فاختار "أبو طالب" أن يزوج "فاختة" الى "هبيرة" ولم يزوجها للرسول صلى الله عليه وسلم.

فعاتب النبي صلى الله عليه وسلم عمه في ذلك، وقال:

- يا عم ! زوجت هبيرة وتركتني!

فقال له أبو طالب:

- يا بن أخي ! إنا صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم.

يعنى هناك رجال بنى هاشم تزوج من بنات بنى مخزوم، هذا معنى "أنا صاهرنا إليهم" فليس من مكارم الأخلاق بعد ذلك أن نرفض أن نزوجهم أحد بناتنا. (كما أعطونا بناتهم، نعطيهم بناتنا)

واقتنع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتحدث في هذا الموضوع مرة أخري.

°°

هذا الموقف للرسول ﷺ فيه بعض الدروس.

أولًا: أن الرسول ﷺ عندما وجد عمه قد اختار "هبيرة" لم يكتم الأمر في نفسه، بل ذهب الى عمه، وتحدث اليه بأدب ومودة وقال: " يا عم زوجت هبيرة وتركتني"
لذلك عندما يسوئك أي تصرف من صديق أو قريب أو جار أو زميل في العمل، لا تكتم الأمر في نفسك، حتى لا يكبر في داخلك، ولكن اذهب اليه وتحدث اليه بمودة وأدب، وستجد أن الأمر قد انتهي.

ثانيًا: أن أبو طالب وضح السبب للرسول ﷺ واقتنع الرسول ﷺ ولم يذكر الأمر مرة أخري.
ومشكلة بعض الشباب، إذا أراد أن يتزوج من فتاة، أو فتاة تريد أن تتزوج من شاب، ولا يتم الأمر، تظلم الحياة، وتكون نهاية الدنيا لهذا الشاب أو تلك الفتاة.
لا نقول إن هذه المشاعر في حد ذاتها حرام، ولكن الحرام أن تجعلها تدمر حياتك.
تعلم من نبيك ﷺ كيف عندما أن أراد أن يتزوج بنت عمه، ثم اختار عمه أن يزوجها لرجل آخر لاعتبارات خاصة بالعادات والتقاليد، قلب الرسول ﷺ الصفحة، ولم ينظر خلفه وانما نظر أمامه

* * * * * * * * *

الفصل التاسع عشر: عمل الرسول ﷺ بالتجارة

وزواجه من السيدة خديجة

oooooooooooooooooooooooooooo

oooooooooooooooooooooooooooo

عَمل الرسول ﷺ -كما ذكرنا- في رعي الأغنام في سن مبكرة، منذ كان عمره ثمانية أعوام، وظل يعمل في رعي الأغنام حتى بلغ عمره خمسة عشر عامًا، أي سبعة أعوام كاملة، ثم بدأ يعمل بالتجارة، مثل أغلب أهل مكة.

وكان عمل الرسول صلى الله عليه وسلم في التجارة خطوة هامة جدًا في تكوين شخصيته صلى الله عليه وسلم.
حيث اكتسب من عمله بالتجارة المرونة في التعامل مع الأصناف المختلفة من البشر، وهو أمر يحتاجه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه سيتعامل بعد ذلك مع عدد غير محدود من الناس.
وشارك الرسول صلى الله عليه وسلم في عمله بالتجارة مع رجل يدعي "السائب بن ابي السائب".
وكان "السائب" يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم:
"نعم الشريك لا يداري ولا يماري"
يعنى –كما نقول الآن- دوغري وكلمته واحدة.

وعُرِّفَ الرسول صلى الله عليه وسلم بصدقه –فكان لا يكذب أبدًا-

واشتهر بأمانته – فكان لا يغش أبدًا-

وحتى أطلقت عليه قريش "الصادق الأمين".

°°

وكان في مكة سيدة اسمها "خديجة بنت خويلد" وكانت أرملة، تزوجت مرتين من سيدين من سادات قريش ثم ماتا عنها.
تزوجت أولًا من رجل اسمه "عتيق بن عائذ" وانجبت منه غلام اسمه "هند" ثم مات "عتيق".
وتزوجت بعده من "أبو هالة بن زرارة" وانجبت منه غلام اسمه "هالة" ثم مات "أبو هالة" أيضًا.
كانت "خديجة" أكثر نساء قريش جمالًا، وأكثرهن مالًا، وكانت تلقب بالطاهرة، لحسن أخلاقها وعفتها.
وكانت لخديجة تجارة واسعة، وكانت تستأجر التجار لإدارة تجارتها، وكانت تضاربهم، يعنى تجعل لهم نسبة من الربح يتفقون عليها.
فكان أهم شيء في تجارة "خديجة" أن تبحث عن التاجر الأمين الصادق الذي تأتمنه على تجارتها.

وسمعت "خديجة" عن صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وعظم أمانته، وكريم أخلاقه.
فأرسلت الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعرضت عليه أن يخرج بتجارتها الى اليمن.
وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج بتجارتها الى اليمن ثلاثة مرات، وكان معه في كل مرة عبد لخديجة اسمه "ميسرة"

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بتجارة للسيدة خديجة ثلاثة مرات

وشاهد "ميسرة" الكثير من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مما جعله يحب النبي صلى الله عليه وسلم حبًا شديدًا، تقول الروايات:
"فَكَانَ كَأَنَّهُ عَبْدٌ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم "
وبعد أن خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة مرات الى اليمن، خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في تجارة جديدة لخديجة الى الشام، وكان معه "ميسرة".
ومروا في طريقهم على راهب من الرهبان في صومعة اسمه "نسطور"
ورأي هذا الراهب الرسول صلى الله عليه وسلم فعرفه بصفته الموجودة في التوراة، كما عرفه "بحيري الراهب" من قبل.
وكان هذا الراهب يعرف "ميسرة" من قبل، فقال لميسرة:

- هُوَ هُوَ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، يَا لَيْتَ أَنِّي أُدْرِكُهُ حِينَ يُؤْمَرُ بِالْخُرُوجِ.

ورأي مَيْسَرَةُ الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبيع في السوق، وكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ اخْتِلاَفٌ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ:
- احْلِفْ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى. (يعنى طلب من الرسول أن يحلف باللات والعزي)
فَقَالَ له الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم :

- مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَطُّ، وَإِنِّي لأَمُرُّ فَأُعْرِضُ عَنْهُمَا.

(يعنى عندما أمر عليهما لا أحب حتى أن أنظر اليهما، وانما أنظر الى الجهة الأخري)

وعاد الرسول ﷺ الى مكة وقد ربحت تجارة خديجة أضعاف ما كانت تربح من قبل، وأخبرها "ميسرة" مجددًا بما رآه من كريم أخلاق الرسول ﷺ.

وأخبرها بما قال "نسطور" الراهب من أنه آخر الأنبياء.

وأخبرها بما سمعه من الرسول ﷺ حين رفض الحلف بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى، وكانت السيدة خديجة من القلاقل في مكة الذين يرفضون عبادة الأصنام.

قال الراهب نسطور لميسرة هُوَ هُوَ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ

ورغبت السيدة خديجة في أن تتزوج من النبي ﷺ ولكن لم تكن تعرف كيف تصل الى هذا الأمر.

وكانت السيدة خديجة يتقدم لها الكثير من سادات قريش، لأنها –كما قلنا- ذات جمال ومال وشرف.

ولكن خديجة كانت ترفض كل من يتقدم اليها، لأنها كانت مشغولة القلب والعقل بالرسول ﷺ.

وكانت السيدة خديجة لها صديقة اسمها " نَفِيسَةَ بِنْتِ مُنْيَةَ"

وفي يوم أخذت تتحدث مع صديقتها كثيرا عن النبي ﷺ وعن صدقه وأمانته وكريم لأخلاقه، فقالت لها "نفيسة":

- يا خديجة أتحبين أن أكلمه ؟

فقالت لها السيدة خديجة:

- فيم ؟
قالت:
- في الزواج منك.
قالت خديجة على الفور:
- نعم
فذهبت نفيسة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت له:
- يا محمد ما يمنعك أن تزوج ؟
قال صلى الله عليه وسلم :
- ما بيدي ما أتزوج به ؟ (يعنى ليس عندي أموال أتزوج بها)
قالت نفيسة:
- فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟
قال صلى الله عليه وسلم :
- فمن هي ؟
قالت:
- خديجة!
قال:
- وكيف لي بذلك؟
قالت:
- عليَّ (يعنى اترك لي هذا الموضوع)

ولم تخبره السيدة "نفيسة" أن صاحبتها "خديجة" هي التى أرسلتها، ولكنها أفهمت الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ستكلم السيدة خديجة.

ثم عادت السيدة نفيسة بعد ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم وأخبرته بموافقة خديجة.

وذهب الرسول صلى الله عليه وسلم مع عمه "أبو طالب" الى والد السيدة خديجة، وتم الزواج.

°°°

ننتقل في الفصل القادم ان شاء الله تعالى الى داخل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وبيت السيدة خديجة.

ولكن قبل أن ننتقل الى هذا البيت المبارك نتوقف قليلًا أمام ثلاثة نقاط:

النقطة الأولى: أن السيدة خديجة هي التى طلبت الزواج من الرسول صلى الله عليه وسلم فهل يجوز أن تأتي فتاة الآن، وتعرض نفسها، وتطلب هي الزواج من الشاب.

نقول أنه بالنسبة للسيدة خديجة كان هناك وضع خاص:

أولًا: كانت السيدة خديجة هي الأكثر مالًا، وكل سادات قريش يطلبون زواجها وهي ترفض، فمن الطبيعي اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغب في الزواج منها أن يستحي أن يطلب منها الزواج.

ثانيًا: أنها لم تذهب اليه وتعرض عليه نفسها، بل أرسلت اليه صديقة لها "جس نبض" ولم ترسل له زميلتها في المدرسة ولا الجامعة –كما يحدث الآن- بل أرسلت له سيدة ناضجة عرضت عليه الأمر بصورة تحفظ للسيدة خديجة كرامتها، فجعلت كأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلب الزواج منها، ثم ينتظر ردها.

لذلك لا ينبغي أن تأتي الآن فتاة وتعرض نفسها على أي شاب، وتقول أن السيدة خديجة عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم.

ان الاسلام من شدة احترامه وتقديره للمرأة، جعل الصداق –المهر- وجعل موافقة ولى الفتاة -وهو أبوها- شرط من شروط الزواج.

انه من المحزن أن تري فتاة في الطريق مع شاب، وهذا مشهد مهين لها، ومن المحزن تلك الأرقام عن الزواج العرفي في الجامعات، وأكثر شيء مهين للفتاة أن تتزوج بورقة عرفية.

°°°

النقطة الثانية: البعض يحتج بزواج الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة بعدم ضرورة التكافؤ بين الزوجين، لأن السيدة خديجة كانت غنية، والرسول صلى الله عليه وسلم كان فقيرًا.

ونقول هذا غير صحيح، فقد كان هناك بالفعل تكافؤ بين الرسول صلى الله عليه وسلم والسيدة خديجة.

نعم كان الرسول صلى الله عليه وسلم فقيرًا، ولكنه كان من عائلة عريقة، فقد كان كل جدوده هم سادات قريش، وجده المباشر الذي تربي في بيته هو "عبد المطلب" وهو أشهر من حكم قريش.

°°°

نقطة ثالثة: كيف كان هذا الزواج ناجحًا برغم فارق السن الكبير بين الرسول ﷺ والسيدة خديجة، فقد كان عمر الرسول ﷺ حين تزوج خديجة خمسة وعشرون عامًا، بينما كانت خديجة عمرها أربعون عامًا، ومع ذلك كان الزواج ناجحًا؟

نقول أن العبرة بدرجة النضوج والسن العقلي، فقد كان الرسول ﷺ شابًا عمره خمسة وعشرون عامًا، ولكنه كان ناضجًا، ولذلك لم يكن لهذا الفرق في العمر أي تأثير سلبي على الزواج، وكان زواجًا ناجحًا.

****

الفصل العشرون: أمنا العظيمة الطاهرة النقية (خَدِيجَة (

°°

°°

انتهينا في الفصل السابق حين تزوج الرسول ﷺ من السيدة خديجة، وكان عمر النبي ﷺ حين تزوج السيدة خديجة خمسة وعشرون عامًا، وعمر السيدة خديجة أربعون عامًا.

°°

الفارق العمري بين الرسول ﷺ وبين "خديجة" يُلْجِم ألسنة الحاقدين.

وهذا الفارق العمري بين الرسول ﷺ وبين السيدة خديجة، فيه ما يلجم ألسنة وأقلام الحاقدين على الإسلام، والذين تصوروا أن تعدد زوجات الرسول ﷺ يمكن أن يكون هدفًا يلقون اليه سهامهم، أو يصاب منه الإسلام.

لأن الرسول ﷺ عاش حتى بلغ عمره خمسة وعشرين عامًا، في بيئة جاهلية، وقد انتشر فيها الزنا والانحلال الخلقي، ولم يقترب ﷺ ولو لمرة واحدة من هذه الأمور.

ثم تزوج بعد ذلك من السيدة خديجة، وهي أكبر منه بخمسة عشر عامًا، وظل هذا الزواج قائمًا حتى توفيت –رضى الله عنها- وعمرها خمسة وستون عامًا، وعمر الرسول ﷺ قد تعدي الخمسين عامًا،

أي أنه كان قد تجاوز مرحلة الشباب والكهولة ودخل في سن الشيخوخة، ولم يفكر طوال هذه المدة في الزواج بأي امرأة أخري.
وما بين العشرين والخمسين من عمر الرجل هي الفترة التي تتحرك فيها رغبة الاستزادة من النساء للدوافع الشهوانية.
وسنجد بعد ذلك أن كل زواج للرسول ﷺ كانت له سببًا وحكمة، تزيد من ايماننا بعظمة الرسول ﷺ ورفعة شأنه وكمال خلقه.
°°

في بيت "خديجة"

انتقل ﷺ الى بيت السيدة خديجة، وعاش في هذا البيت 28 سنة حتى هاجر الى المدينة، وهو أكثر مكان أقام فيه الرسول ﷺ.
ومكان هذا البيت الآن في منطقة المروة، فعندما تذهب لأداء الحج أو العمرة، وبعد أن تنتهي من السعي وتخرج من باب المروة، توقف قليلًا في هذا المكان، وتذكر أن بيت الرسول ﷺ وأمنا خديجة كان في هذه المنطقة، وأن هذا المكان هو أكثر مكان اقام فيه الرسول ﷺ.

°°

أجمل كلمة في الحب.

أحبت أمنا خديجة –رضى الله عنها- النبي ﷺ حبًا شديدًا، حتى قال النبي ﷺ في حديث رواه مسلم:
"إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا"
سمعت يومًا شابًا يقول إن هذه الجملة "إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا" هي أجمل عبارة سمعها عن الحب.
ومادام الحب رزق من الله، فلا يطلب بمعصية الله، وانما يطلب بطاعته.
وقد يكون زوج المرأة قليل المال، ولكنه يحبها، فعليها أن تدرك أن هذا الحب رزق يعدل كل كنوز الدنيا.

وفاء الرسول ﷺ لزوجته.

كانت السيدة خديجة غنية كثيرة المال، فكان أول شيء فعله الرسول ﷺ بعد زواجه من السيدة خديجة أن استأذنها وأرسل للسيدة حليمة –التي أرضعته- أربعين رأسًا من الضأن ترعاها في ديار قومها وتستغنى بها الى آخر ما قدر لها من العمر.

حسن خلق "خديجة" مع حماتها

وكما أكرمت -رضى الله عنها- "حليمة" كانت السيدة خديجة تكرم كذلك "ثويبة الأسلمية" جارية "أبو لهب" عم الرسول ﷺ، لأنها كانت قد أرضعت الرسول ﷺ فهي إحدى امهات الرسول ﷺ من الرضاعة، وهي حماتها من الرضاعة.

فكان من كمال السيدة خديجة وأدبها وحسن خلقها أنها كانت تكرم "ثويبة" مع أنها جارية عند عمه أبو لهب، بل وحاولت أن تشتريها من أبو لهب لكي تعتقها، ولكنه كان يرفض.

(رسالة لكل زوجة: إذا أردت أن تستقيم حياتك مع زوجك، فعليك أن تحسني معاملة أمه، لو أحسنت الى حماتك فلن ينسي لك زوجك هذا حتى آخر لحظة في حياته، ولو أسئت لها فأيضًا لن ينسي لك زوجك هذه الاساءة طوال حياته)

السيدة الكاملة

واستمر زواج الرسول ﷺ مع السيدة "خديجة" خمسة وعشرون عامًا، كانت فيه السيدة خديجة نعم الزوجة، خلقًا وأدبًا ومعرفة لقدر زوجها النبي العظيم ﷺ.

وبعد نزول الرسالة على النبي ﷺ وكانت هي: حصنه الداخلي، وركنه الشديد، والوزير الصادق له، والرفيق الساعي له، تخفف عنه، وتواسيه، وتسعى في قضاء حوائجه.

خمسة وعشرون عاماً لم يسمع الرسول ﷺ منها كلمة تغضبه، ولم يحدث موقف واحد اختلف فيه الرسول ﷺ مع السيدة خديجة.

كانت أمنا -رضى الله عنها- سيدة كاملة، يقول الرسول ﷺ في حديث رواه البخاري ومسلم:

"لم يكمل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد"

بيت الرسول ﷺ

حب الرسول ﷺ لخديجة

أحب الرسول ﷺ السيدة خديجة حبًا شديدًا، وتعلق بها تعلقًا شديدًا، ومن حب النبي ﷺ للسيدة خديجة أنه لم يتزوج عليها طوال حياتها، صيانة لقلبها من الغيرة، مع أن زواج الرجل من امرأة واحدة أمر نادر في جزيرة العرب في ذلك الوقت.

وكان للسيدة خديجة غلام من زوجها الأول اسمه "هند" وغلام من زوجها الثاني اسمه "هالة" فكان الرسول ﷺ ويحسن معاملتهما، ويهتم بتربيتهما.

وكان "هالة" ربما يدخل على الرسول ﷺ وهو نائم، فيستيقظ الرسول ﷺ ويبتسم له ويضمه الى صدره وهو يقول هالة هالة.

(من منا إذا أيقظه ابنه وليس ابن زوجته يبتسم في وجهه ويضمه الى صدره؟!)

(من كان في بيته ابن لزوجته، ومن كانت في بيتها ابن لزوجها، انظروا كيف تعامل الرسول ﷺ مع أبناء زوجته خديجة)

°°

وكانت تأتي "هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ" أُخْتُ السيدة خَدِيجَةَ لزيارة أختها، فاذا طرقت الباب عرفها الرسول ﷺ من طريقة طرقها على الباب، فيرحب الرسول ﷺ بقدومها، ويقول: "اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ"

يعنى: يا رب تكون هالة هي التي تطرق على الباب.

من منا يرحب بأقارب زوجته هكذا؟ ومن الآن ترحب بأقارب زوجها هكذا؟

°°

وفاء الرسول ﷺ العظيم لزوجته.

وبعد وفاة السيدة "خديجة" أتت صحابية اسمها "خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ" وقالت له:

- ألا تزوج يا رسول الله؟

فدمعت عين الرسول ﷺ وقال:

- وهل بعد خديجة أحد؟

- .....

وبعد وفاتها –رضى الله عنها –كان الرسول ﷺ إذا ذبح شاة، كان يحرص على أن يرسل من لحمها الى صاحبات خديجة، ويقول:

- اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى فُلَانَةَ.

فتقول السيدة عائشة:

- من هذه يا رسول الله؟

فيقول ﷺ:

- كَانَتْ صَدِيقَةً لخَدِيجَةَ.

ثم يقول ﷺ:

- اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى فُلَانَةَ.

فتقول السيدة عائشة:

- من هذه يا رسول الله؟

فيقول ﷺ:

- إِنّ خَدِيجَةَ أَوْصَتْنِي بِهَا.

ثم يقول ﷺ:

- اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى فُلَانَةَ.

فتقول السيدة عائشة:

- من هذه يا رسول الله؟

فيقول ﷺ:

- إِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةً، وإني لأحب حبيبها.

فأسقط في يد عَائِشَةُ وقالت:

- لَكَأَنّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلّا خَدِيجَةَ.

مكان استقبال الضيوف في بيت الرسول ﷺ

-

ولم يتوقف الرسول ﷺ عن ذكر السيدة خديجة وذكر فضلها-رضي الله عنها- حتى قالت السيدة عائشة يومًا:
"ما غرتُ من نساءِ النبي ﷺ إلا من خديجةَ، وإني لم أدركها"
(يعنى أنها -رضى الله عنها- لم تكن تغار من زوجات الرسول ﷺ بقدر غيرتها من خديجة، بالرغم من أنها كانت قد توفيت)

وفي يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة، وقع "الْعَاصِ بْنِ الرّبِيعِ" زوج السيدة زينب بنت الرسول ﷺ وبنت خديجة في الأسر، وكان لا يزال على الكفر، وأرسلت كل عشيرة الأموال في فداء أسراها، وأرسلت السيدة زينب في فداء زوجها (كانت السيدة زينب على الإسلام، ولكنها كانت مع زوجها في مكة) فأرسلت زينب قلادة (عقد) كانت قد أهدتها اليها أمها السيدة خديجة في يوم زواجها.

ورأي الرسول صلى الله عليه وسلم القلادة فعرفها، وأمسكها بين يديه الشريفتين، وتذكر خديجة، فرق لها رقة شديدة، وتأثر تأثرًا شديدًا، وقال لصحابته:

- إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدّوا عَلَيْهَا مَالَهَا، فَافْعَلُوا.

(بالرغم من انه قائد الجيش ورئيس الدولة فانه يستأذن أصحابه في أن يطلقوا سراح زوج ابنته دون أن تؤخَذ منها قلادة زوجته خديجة)

فَقَالُوا جميعًا:

- نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

- °°

وفي يوم فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، كانت قريش قد صادرت بيته بعد الهجرة، وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبيت، وكانت جميع البيوت ترحب به صلى الله عليه وسلم ولكنه ضرب خيمته الى جوار قبر خديجة، وكأن لسان حاله صلى الله عليه وسلم يقول: صدقت يا خديجة حين قلت "والله لا يخزيك الله أبدًا

°°

وفي يوم فتح مكة جاءت أحدي صديقات خديجة واسمها "جثامة المزنية" فرحب بها الرسول صلى الله عليه وسلم ترحيبًا شديدًا، وجلس يتحدث اليها ويقول لها:

- كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟

وسألته السيدة عائشة:

- من هذه يا رسول الله؟

فقال لها صلى الله عليه وسلم:

- هذه صاحبة خديجة.

فقالت عائشة:

- وفيم كنتم تتحدثون يا رسول الله؟

فابتسم الرسول صلى الله عليه وسلم وقال:

- كنا نتحدث عن ايام خديجة.

(بنفتكر أيام زمان الجميلة، أيام خديجة، فاكر لما حصل كذا، وفاكرة لما حصل كذا)

فغضبت عائشة وقالت:

- هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها؟

فتغير وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وغضب غضبًا شديدًا وقال:

- لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنتْ بي إذْ كفرَ الناس، وصدَّقتني إذ كذّبَني الناس، وواستني بمالها إذ حرمنـي الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء.

ورأت السيدة عائشة غضب النبي صلى الله عليه وسلم فقالت تعتذر له:

- استغفر لي يا رسول الله.

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يزال في غضبه:

- استغفري لخديجة حتى أستغفر لك.

-

مدخل غرفة الرسول صلى الله عليه وسلم

- °°°

وفي النهاية

رأينا كيف أحب الرسول ﷺ السيدة خديجة كل هذا الحب برغم أنها توفيت وعمرها خمسة وستون عامًا، أي أن جمالها كان قد ذهب.

وهذه رسالة لكل فتاة أن الذي يهم الرجل في زوجته ليس الجمال ولكن حسن العشرة، لأن جمال الزوجة زائل يومًا لا محالة، أو سيعتاد عليه الرجل، والذي سيبقي هو العشرة بينهما.

وهناك رسالة لكل شاب يبحث عن زوجة، أن أهم معيار لاختيار الزوجة ليس هو الجمال، فالجمال زائل وستعتاد عليه، ولكن أهم معيار هو أخلاق الفتاة وعشرتها.

ورسالة أخري لكل رجل تقف زوجته الى جواره حتى ترتقي معه الى حياة أفضل، ثم عندما يتقدم بها العمر ويذهب جمالها، يبحث عن زوجة أخري أو علاقة أخري، تعلم من نبيك ﷺ وقد بلغت زوجته خمسة وستين سنة، ولم يفكر في أن يتزوج عليها، مع أن هذا كان هو المعتاد في ذلك الوقت.

* * * * * * * * *

الفصل الحادي والعشرون: أبناء الرسول ﷺ من خديجة

°°

تحدثنا في الفصل السابق عن زواج الرسول ﷺ من أمنا العظيمة السيدة خديجة، وكيف أحب النبي ﷺ السيدة خديجة، وكيف كان وفاؤه ﷺ لها في حياتها وحتى بعد وفاتها

وكما كان لأمنا "خديجة" مكانة خاصة في قلب الرسول ﷺ، فلها كذلك مكانة خاصة في قلب كل مسلم.

أذكر أنني كنت في "مكة" لأداء العمرة، وأردت أن أزور السيدة "خديجة"، فذهبت الى مقابر "الحجون" حيث قبرها، فلما سألت عن مكان القبر بالتحديد، قال لي أحدهم:

- لماذا تريد أن تعرف مكان القبر؟

قلت له:

- أريد أن أزور أمي.

تلعثم الرجل قليلًا ثم قال:

- لماذا تريد أن تزورها؟

قلت له:

- أقول لك أمي! هل تنكر علىَّ أن أزور أمي؟!

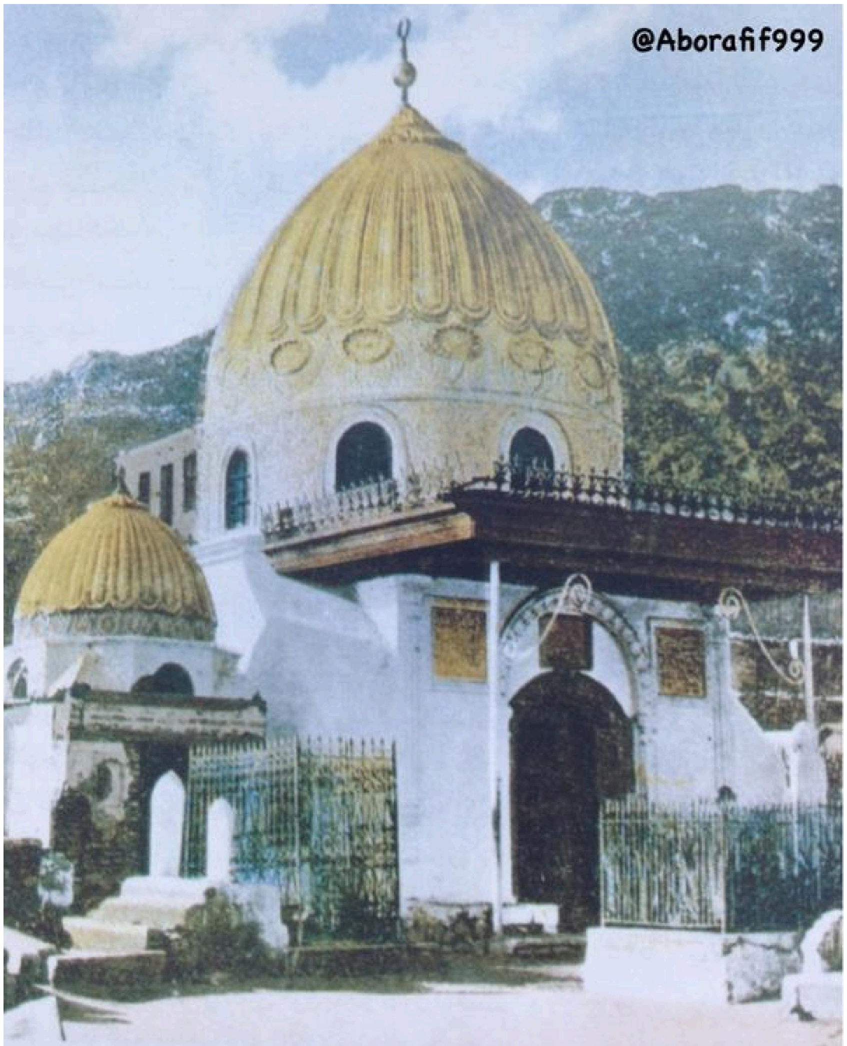

-

- صورة لقبر أمنا خديجة قبل ازالة القباب سنة 1324 هـ

°°° -

أبناء الرسول ﷺ من خديجة.

رزق الرسول ﷺ من زوجته السيدة خديجة بستة من الأبناء، ولدين وأربعة بنات، وهم بالترتيب:

أولًا: القاسم، وبه كان يكنى، فكان ﷺ يكنى بأبا القاسم.

ثم "زينب" وكان يقال لها "زينب الكبري" حتى يميز بينها وبين بنت اختها زينب بنت السيدة فاطمة.

ثم "رقية"

ثم "أم كلثوم"

ثم "فاطمة"

ثم "عبد الله" ولقب بالطاهر، ولقب بالطيب.

°°°

وكل هؤلاء أنجبهم الرسول ﷺ قبل البعثة، أي قبل أن يبلغ الأربعين عامًا، باستثناء ابنه "عبد الله" الذي أنجبه بعد البعثة، ولذلك لقب بالطاهر وبالطيب.

وكل أبناء الرسول ﷺ الذين أنجبهم من السيدة خديجة، باستثناء ابنه "ابراهيم" الذي أنجبه بعد ذلك من زوجته "مارية"

أبناء النبي صلى الله عليه وسلم						
زينب	رقية	أم كلثوم	فاطمة	القاسم	عبد الله	إبراهيم
الزوج	الزوج	الزوج	الزوج	مات صغيرا	مات صغيرا	مات صغيرا
أبو العاص بن الربيع	عتبة بن أبي لهب عثمان بن عفان	عتيبة بن أبي لهب عثمان بن عفان	علي بن أبي طالب			
الأبناء	الأبناء	الأبناء	الأبناء			
علي أمامة	عبد الله	لم تنجب	الحسن الحسين أم كلثوم زينب			

°°° -

الرسول ﷺ يفقد في حياته ستة من أبنائه.

لقد رزق الرسول ﷺ بسبعة من الأبناء، ثم فقد منهم بالموت ستة في حياته.

وكان أول أبنائه وفاتًا هو "القاسم" أول أبناءه، وكان ذلك قبل البعثة، وقد مات ولم يكن قد تجاوز العامين من عمره.

ثم فقد الرسول ﷺ "رقية" سنة 2 هـ ، وكان عمرها 21 سنة.

وبعدها بستة سنوات، سنة 8 هـ ، فقد ابنته الكبرى "زينب" وكان عمرها 31 سنة.

وبعدها بعام واحد، سنة 9 هـ ، فقد "أم كلثوم" وعمرها 27 عامًا.

وفي العام التالي، سنة 10 هـ ، فاضت روح ابنه "إبراهيم" وهو في حجره، وعمره 18 شهرًا

والى جانب فقد أبنائه، وفقد زوجته الحبيبة "خديجة" فقد الرسول ﷺ في حياته اثنين من أحفاده، وهما "على بن زينب" و"عبد الله بن رقية"

°°

لماذا كل هذا الألم في حياة الرسول ﷺ ؟

- لأن فقدان الولد هو أشد أنواع الابتلاء، و"**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ**" كما قال ﷺ.
- وحتى نعلم أن الدنيا ليست ثوابًا لمؤمن ولا عقابًا لكافر.
- وحتى نتعلم كيف كان صبر الرسول ﷺ على هذه المصيبة التي تكررت ست مرات، وكيف استقبلها، وكيف تعامل معها.

نحن نري من فقد ابن له أو أحد أحبته تنقلب حياته، ويعيش في دائرة من الحزن لا يخرج منها، بل ويري ذلك لون من الوفاء لمحبوبه الذي فقده، وقد فقد الرسول ﷺ ستة من أبنائه ومع ذلك لم يؤثر ذلك على أدائه لدوره في تحمل مسئولية البشرية كلها.

"الدنيا ليست ثوابًا لمؤمن ولا عقابًا لكافر"

°°°

معنى آخر رائع ذكره الشيخ "محمد الغزالي" في كتابه الماتع "فقه السيرة"

يقول رحمه الله: وكأن الله أراد للنبي ﷺ أن يجعل الرقة الحزينة جزءًا من كيانه، فان الرجال الذين يسوسون الشعوب لا يجنحون الى الجبروت الا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة والأثرة، وعاشت في أفراح لا يخامرها كدر، أما الرجل الذي خبر الآلام فهو أسرع الناس الى مواساة المحزونين ومداواة المجروحين.

محمد الغزالى

* * * * * * * * *

الفصل الثاني والعشرون: زيد بن حارثة (حِب رسول الله)

اختطاف زيد بن حارثة

كان "زيد حارثة بن شراحيل" طفلًا عمره ثمانية سنوات، عندما خرجت به أمه "سُعدى بنت ثعلبه" لزيارة قبيلتها "بني معن" وفي أثناء الزيارة، أغارت على "بنى معن" قبيلة أخري، وكان من نتائج هذا الهجوم أن أخْتُطِف الطفل الصغير "زيد"

أغارت على "بنى معن" قبيلة أخري

وهكذا أصبح "زيد" هذا الطفل الصغير عبدًا بعد أن كان حرًا، وهكذا كانت الحياة في الجزيرة العربية قبل بعثة النبي ﷺ

عادت أم "زيد" الى أبيه "حارثة بن شراحيل" مسرعة وأخبرته بالفاجعة، فخرج على الفور يبحث عن ابنه في كل أنحاء الجزيرة، ويسأل القبائل والقوافل، ويكتب الشعر، لينتشر في الجزيرة، لأن الشعر كان هو وسيلة

الاعلان في ذلك الوقت، وأصبحت قضية حياته هي أن يعثر على ابنه المخطوف.

وخرج أبوه يبحث عنه في الجزيرة

زيد بن حارثة في مكة.

أما الطفل "زيد" فقد عرض للبيع، في سوق "حُبَاشَة" وهو أحد الأسواق الشهيرة التى كانت تقام كل عام قريبًا من مكة، واشتراه رجل من قريش اسمه "حكيم بن حزام بن خويلد" وهو ابن أخ السيدة "خديجة بنت خويلد" بمبلغ 400 درهم

جاء "حكيم" بزيد الى مكة، ثم أهداه الى عمته السيدة "خديجة" وظل "زيد" عبدًا في بيت السيدة "خديجة" حتى تزوجت من النبي ﷺ

بيع "زيد" عبدًا في أحد الأسواق

وجاء "حكيم" بزيد الى مكة

وأهدت السيدة "خديجة" زيد الى الرسول ﷺ فأصبح مولى للرسول ﷺ بعد أن كان مولى لخديجة.

وقص "زيد" على الرسول ﷺ قصته، وتأثر بها الرسول ﷺ، فكان يعطف علي "زيد" ويحسن معاملته، وكان له بمثابة الأب، وأحب "زيد" الرسول ﷺ حبًا شديدًا، وتعلق به.

°°°

زيد يختار الرسول ﷺ على أبيه وأمه.

وبعد سنوات، وكان الرسول ﷺ في الثانية والثلاثين من عمره الشريف، وفي أثناء موسم الحج، جاء رجال من قبيلة "زيد" الى مكة ورأوا "زيد" وعرفوه، وتحدثوا اليه، وتأكدوا الفعل أنه "زيد بن حارثة بن شراحيل" ونقلوا اليه لوعة أبيه، فقال لهم زيد:

- أخبروا أبي أني هنا مع أكرم والد.

ثم عادوا وأخبروا "حارثة بن شراحيل" بمكان "زيد" وأنه عبدًا عند رجل من قريش بمكة اسمه "محمد بن عبد الله" ففرح "حارثة" وباع ممتلكاته وجمع الأموال ليفتدي ابنه، ويشتريه من الرسول ﷺ وهو يتوقع أن يطلب فيه الرسول ﷺ مبلغًا كبيرًا جدًا من المال

ورحل "حارثة بن شراحيل" ومعه أخوه الى مكة، وأخذوا يسألنون عن "محمد بن عبد الله"، فدلهم التاس عليه، وكان ﷺ عند الكعبة فجلسا اليه، وقالا له:

- يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا، فامنن علينا، وأحسن في فدائه.

(يعنى لا تطلب فيه مبلغًا مبالغًا لا نقدر عليه)

جئناك في ولدنا، فامنن علينا

فقال لهما النبي ﷺ:

- **فهل لكما في شئ خير من ذلك ؟ أدعوه لكم، وأخيره، فإن أختاركم فهو لكم، وإن أختارني فما أنا بالذي يرغب عن من اختاره.**

(يعنى سأخير "زيد" بين أن يبقي معي أو يذهب معكما، فان اختاركما فخذوه بلا مقابل، وان اختارني فليس من أخلاقي أن أرفض من يريدني)

فنظر "حارثة" واخيه الى بعضهما غير مصدقين، وقالًا:

- قد زدتنا على النصف وأحسنت

(يعنى هذا زيادة العدل واحسان منك)

جاء "زيد" وعرف أبوه وعمه، ثم جاءت اللحظة الحاسمة، وخير زيد بين أن يظل عبدًا عند الرسول ﷺ أو أن يعود الي أبيه وأمه وعشيرته وترد اليه حريته، فكانت المفاجأة التى لم يتوقعها أحد، أن اختار "زيد" ألا يظل عبدًا عن الرسول ﷺ ولا يعود الى أبيه وأمه وعشيرته.

نظر زيد الى وجه حبيبه ﷺ وقال:

- بل أبقي معك، أنت لى بمنزلة الأب والعم، ولا أختار عليك أحدًا أبدًا.

ولم يصدق أبوه أذنيه وقال:

- ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟!

فقال زيد وهو لا يزال ينظر الى وجه الرسول ﷺ:

- نعم لا أختار عليه أحدًا أبدًا.

°°°

الرسول ﷺ يتبنى زيد.

ورق الرسول ﷺ لوالد "زيد" فقال له "قم معي" ثم أخذ "زيد" من يده، وذهب به الى حجر اسماعيل، حيث قريش مجتمعة، ونادي:

"يا معشر قريش، اشهدوا من اليوم زيد ابنى يرثني وأرثه"

(وكان التبنى بمعنى أن يحمل الإبن اسم الأب، وأن يرثه موجودًا عند العرب حتى أبطله الإسلام)

تقول الرواية "فطابت نفس أبيه"

لماذا؟

لأن مشكلة أبيه ليس أن يكون زيدًا معه، لأن "زيد" كان قد كبر وأصبح شابًا وبلغ السن الذي ينفصل فيه عن أبيه وتكون له أسرته وحياته.

ولكن ما كان يحزن أبيه هو أن يعيش ابنه عبدًا، فلما وجد أن الرسول ﷺ قد أعتقه، بل وتبناه وأصبح ابنا له يرثه ويرثه، اطمئن وعاد الى قبيلته مسرورًا.

انصرف أبو "زيد" وعمه، وقد اطمئنا على زيد، وأصبح "زيد" منذ ذلك الوقت بين قريش حرًا وليس عبدًا، وأصبح اسمه "زيد بن محمد" وليس "زيد بن حارثة"

وكان عمر الرسول ﷺ في ذلك الوقت اثنين وثلاثين سنة.

°°°

قصة زيد من علامات النبوة.

كيف كان يتعامل رسولنا العظيم ﷺ مع هذا الطفل حتى يحبه كل هذا الحب ؟

لو كان هذا الموقف بعد البعثة لقلنا لعله أراد أن يكون في بيت رسول الله.

ولكن هذا الموقف الفريد كان بعد البعثة.

فكيف كان يتعامل الرسول ﷺ معه حتى يفضل أن يظل عبدًا في بيته، على أن يكون حرًا في عشيرته وبيت أبيه وأمه؟

لذلك كان اختيار زيد للرسول ﷺ علامة من علامات النبوة.

°°°

حب الرسول ﷺ لزيد بن حارثة.

وأحب الرسول ﷺ "زيد بن حارثة" حبًا شديدًا، لدرجة أن الصحابة أطلقوا عليه "حِب رسول الله" يعنى حبيب رسول الله.

وعندما تزوج زيد وأنجب "أسامة" أحب الرسول ﷺ "أسامة بن زيد" أيضًا، وأطلقوا عليه "الحب بن الحب"

ويقول له الرسول ﷺ

"يا زيد أنتَ مولايَ ومني وإليّ وأحَبّ القَوْمِ إليّ"

تحكي لنا السيدة عائشة أن الرسول ﷺ كان في بيتها، وكان قد أرسل "زيد بن حارثة" في سرية، وعاد"زيد" وطرق الباب على الرسول ﷺ وعلم الرسول أنه

"زيد" فقام مسرعًا يجر ثوبه (يعنى من شدة اشتياقه لزيد لم ينتظر حتى يكمل ارتداء ملابسه) ثم فتح له الباب واحتضنه وقبله.

وبعد استشهاد "زيد بن حارثة" في معركة "مؤته" رأي الرسول ﷺ ابنة لزيد ابن حارثة، فلما رأت الفتاة الرسول ﷺ بكت في وجهه، فبكي الرسول ﷺ حتى انتحب (يعنى على صوته بالبكاء) فتعجب الصحابة لأنهم لم يروا الرسول ﷺ يبكي هكذا من قبل، فقالوا:

- ما هذا يارسول الله؟

فقال النبي ﷺ:

- هذا شوق الحبيب إلى الحبيب .

وحدث في أيام خلافة "عمر بن الخطاب" أنه كان يقسم العطايا، فكان دائمًا يعطي لإسامة بن زيد أكثر من ابنه "عبد الله بن عمر" مع أن "عبد الله بن عمر" كان من السابقين الى الإسلام، فسأله عبد الله:

- يا أمير المؤمنين تعطي لأسامة أكثر مما تعطيني !

فقال له عمر:

- لأنه كان احب لرسول الله منك، وأبوه كان أحب لرسول الله من أبيك.

أي أن الرسول ﷺ كان يحب أسامة أكثر من "عبد الله بن عمر"، وكان ﷺ يحب أبوه "زيد بن حارثة" أكثر من "عمر بن الخطاب"

°°

اعداد الرسول ﷺ لزيد بن حارثة.

وبالرغم من أن "زيد بن حارثة" كان مولى لرسول الله ﷺ الا أن الرسول ﷺ وجد أنه يمتلك مواهب قيادية، فبدء الرسول ﷺ ينمي هذه الموهبة عند زيد، ويعمل دائمًا على أن يحمله مسئوليات كبيرة.

وهكذا نشأ "زيد بن حارثة" شخصية قيادية وقادرة على تحمل المسئولية، ونحن اذا أرنا النهضة لهذه الأمة، فلابد أن نعد جيلًا صلبًا قادرًا على تحمل المسئولية، ولو كان هناك جيلًا مدللًا فليس هذا الجيل الذي ستتحقق النهضة على يديه.

وبعد الهجرة عين الرسول ﷺ "زيد بن حارثة" أميرًا على تسعة جيوش ارسلها الرسول ﷺ

تقول السيدة عائشة: "ما بعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة في جيش قطّ إلا أمّرَهُ عليهم ولو بقي بعده استخلفه"

ما بعث الرسول زيدَ بن حارثة في جيش قطّ إلا أمّرَهُ عليهم

أي أن أي جيش يرسله الرسول ﷺ ويكون فيه "زيد بن حارثة" لابد أن يجعل الرسول ﷺ "زيد بن حارثة" هو أمير هذا الجيش

ولو لم يمت "زيد بن حارثة" قبل وفاة الرسول ﷺ لجعل الرسول ﷺ "زيد بن حارثة" هو خليفته.

والذي يقول هذا الكلام هو عائشة بنت أبو بكر، خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم

°°

سيرة الصحابي الجليل "زيد بن حارثة" غنية وعظيمة، ولكن نكتفي من سيرته -رضى الله عنه- بهذا القدر الضئيل.

مقام "زيد بن حارثة"

* * * * * * * * *

الفصل الثالث والعشرون: تجديد بناء الكعبة، وعبقرية تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم

°°

°°

قريش تقرر هدم الكعبة واعادة بنائها

قبل البعثة بخمسة سنوات، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم عمره خمسة وثلاثون عامًا، قامت قريش باعادة بناء الكعبة.

وكانت الكعبة في ذلك الوقت لا تزال على بنائها القديم الذي بناه ابراهيم واسماعيل –على نبينا وعليهما الصلاة والسلام-

وكانت عبارة عن حجارة موضوعة فوق بعضها البعض بلا مونة، وكان هذا البناء قد مر عليه حوالي ثلاثة آلاف سنة، وكان قد تأثر كثيرًا بعوامل الزمن، خاصة أنه كثيرًا ما تجتاح مكة السيول، حيث أن مكة محاطة بالجبال.

وكانت القبائل التى تسكن مكة من "العماليق" ثم "جرهم" ثم "قريش" أخيرًا كانت تعمل على ترميمه كلما تأثر البناء أو تهدم منه جزء,

ولكن حدث في ذلك الوقت سيل كبير، فتأثر البناء تأثرًا شديدًا، وتصدعت جدران الكعبة، وأصبحت على وشك أن تنهار، ولذلك فكرت قريش في أن تهدم الكعبة بالكامل وتعيد بنائها بناءًا قويًا يصمد أمام السيول.

حدث سيل كبير وتأثر البناء تأثرًا شديدًا

°°

"الوليد بن المغيرة" يأخذ المبادرة

ولكن قريش هابت جدًا أن تقدم على هدم الكعبة، حتى قام "الوليد بن المغيرة" وكان من سادة قريش، -وهو والد "خالد بن الوليد"- وقال "نحن لا نريد الا الخير" وقال "أنا أبدؤكم في هدمها" وبالفعل أخذ "الوليد بن المغيرة" المعول وبدء في الهدم، وانتظر الناس حتى الصباح يترقبون هل اصاب "الوليد" شر بسبب ما فعل، فلم أصبحوا ووجدوا "الوليد" لم يصبه شيء، قاموا فأكملوا هدم الكعبة.

°°

مكة على شفا حرب أهلية بين القبائل.

ثم شرعوا في البناء، وبدأوا ينقلون الحجارة من جبال مكة، وشارك معهم الرسول ﷺ في حمل الحجارة.

ثم قسموا البناء بين قبائل فريش، فكل قبيلة من قريش بنت جزءًا من الكعبة

وبذلك اكملوا البناء ولم يبق الا وضع الحجر الأسود، فاختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود، وكل قبيلة تريد أن تحوز شرف وضع الحجر الأسود بيد شيخ هذه القبيلة.

توقف البناء لمدة خمسة أيام، واشتد الخلاف جدًا حتى باتت قريش على شفا حرب أهلية، وحتى اقترح عليهم رجل من قريش اسمه "أبو أمية بن المغيرة" أن يُحَكِمُوا بينهم أول رجل يدخل عليهم من باب المسجد، فوافقوا على هذا الاقتراح، وجلسوا يترقبون من سيدخل عليهم، فكان أول من دخل هو الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاستبشروا بذلك، وقالوا: هذا الأمين محمد، قد رضينا حكمه.

أكملوا البناء ولم يبق الا وضع الحجر الأسود

جلست "قريش" يترقبون من سيدخل عليهم

°°

عبقرية الحل

وبسرعة بديهة أذهلت قريش، سار بهم الرسول ﷺ الى أبعد نقطة في المسجد بعيدًا عن الكعبة، ووضع ثوبه على الأرض، وأخذ الحجر الأسود بيده ﷺ ووضعه في وسط الثوب، ثم جعل كل شيخ قبيلة يحمل الثوب من أحد أطرافه، وحملوه جميعًا حتى موضع الحجر، ثم وضعه بيده في مكانه.

وضع الرسول ﷺ الحجر الأسود بيده

لماذا هو حل عبقري ؟

وقد كان هذا الحل في غاية التوفيق من أكثر من جهة:

- أن الرسول ﷺ لم يستشر أحدًا من قريش في حكمه، ولا حتى أخبرهم به، حتى لا يفتح الباب لخلاف جديد، وطالما أنهم ارتضوا بحكمه فيتم تنفيذ هذا الحكم فورًا.

- أن الرسول ﷺ أخذ الثوب بعيدًا عن الكعبة حتى تشعر كل قبيلة، ويشعر كل شيخ قبيلة أنه قد أدي دورًا في حمل الحجر الأسود هذه المسافة الى موضعه بالكعبة.

- حمل كل شيخ قبيلة الحجر هذه المسافة الكبيرة وبذله جهدًا في ذلك، ساهم في افراغ شحنة الغضب التى كانت بداخلهم.

- أن الرسول ﷺ من بنى هاشم، ومع ذلك لم يختر أن يضع الحجر الأسود شيخ بنى هاشم، بل وضعه بنفسه، وبذلك لم يثر حفيظة أي قبيلة أخري من قبائل قريش، لأنه بذلك وضعه ليس بصفته من بنى هاشم، وانما بصفته رجل من قريش.

وبذلك انتهت هذه المشكلة الكبيرة، بهذا الحل البسيط والعبقري، ولو قضيت حياتك كلها تفكر في حل آخر لهذه المشكلة فلن تجد أفضل من هذا الحل.

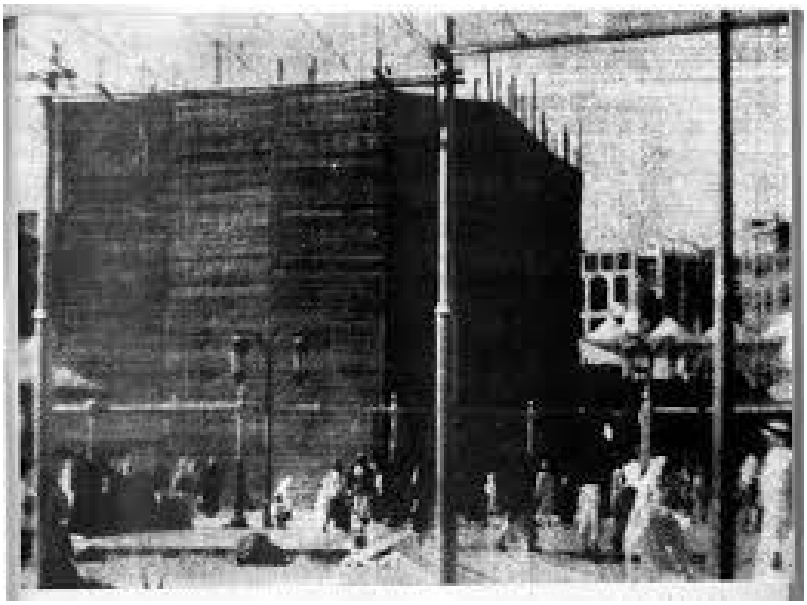

انتهت هذه المشكلة الكبيرة بهذا الحل البسيط

°°

وسنجد بعد ذلك في كل سيرة الرسول ﷺ قدرة عبقرية على حل جميع المشكلات المستعصية بأسهل طريق وأقربه.

يقول المفكر الانجليزي الشهير برناردو شو وقد كان ملحدًا:

"ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد يحل مشاكل العالم"

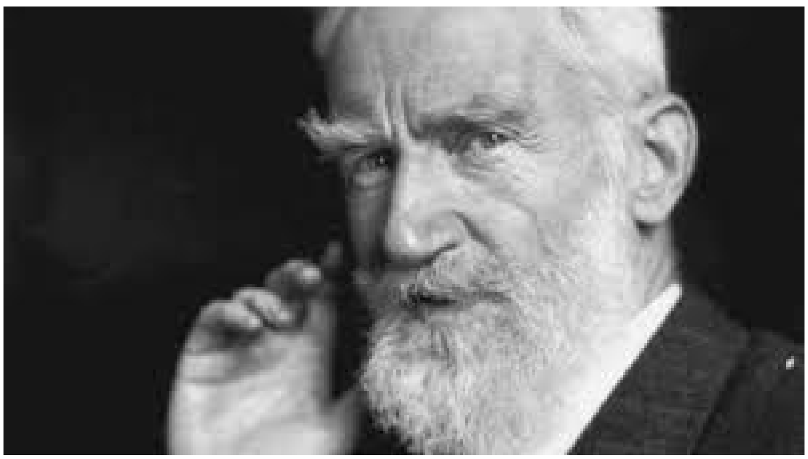

برناردو شو

ويقول المفكر الروسي الأشهر ليو تولستوي:

"لو كان محمدًا حيًا بيننا الان لحل جميع مشاكل العالم وهو يشرب فنجان قهوة"

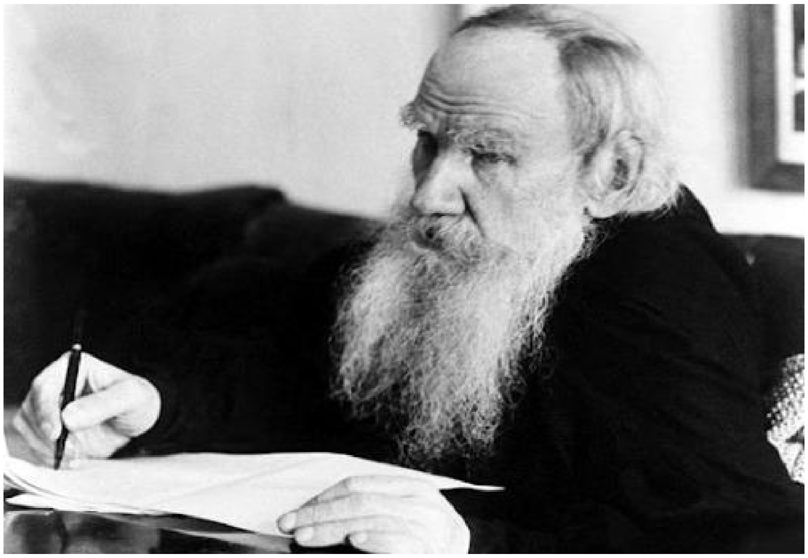

ليو تولستوي

°°°

كشفت حادثة تجديد بناء الكعبة عن مكانة الرسول ﷺ الأدبية في الوسط المكي.

وحصل بها للرسول ﷺ شرفان:

- شرف فصل الخصومة، ووقف القتال الذي كان سينشب بين قبائل قريش.
- وشرف تنافس عليه القوم، وادخره الله تعالى للرسول ﷺ وهو وضع الحجر الأسود بيديه الشريفتين ﷺ.

* * * * * * * * *

الفصل الرابع والعشرون: تاريخ بناء الكعبة والبعد الثالث للكعبة

°°°

°°°

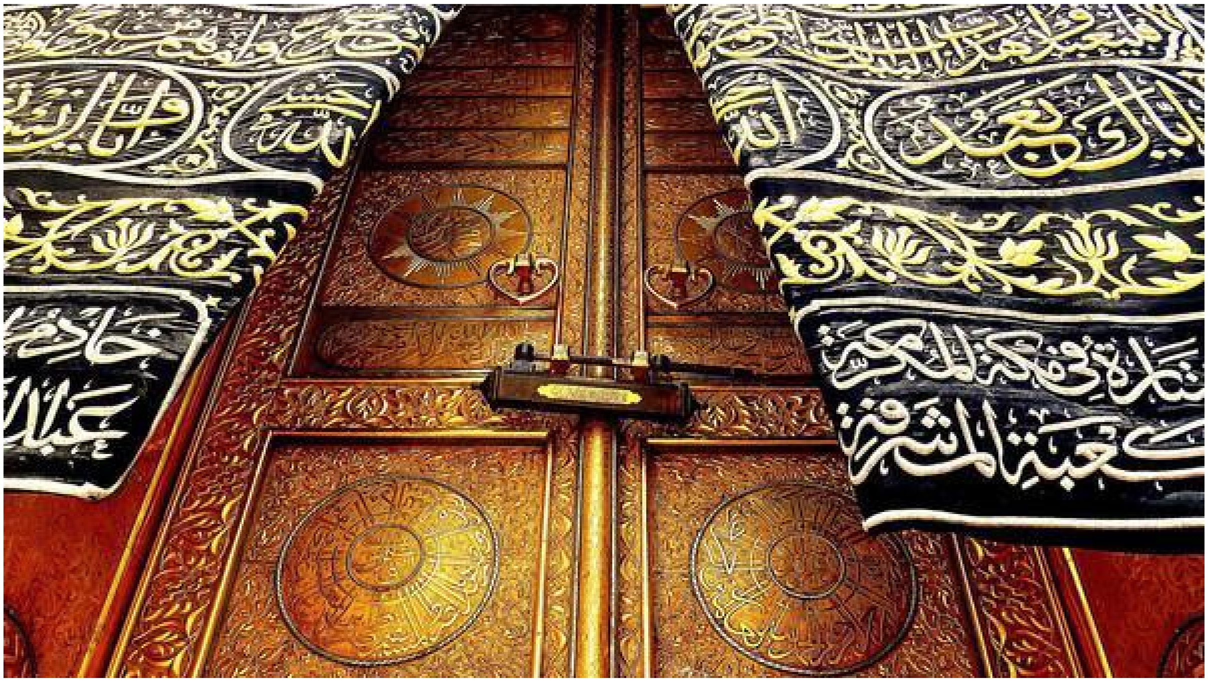

تاريخ بناء الكعبة باختصار

رأينا في الفصل السابق قصة اعادة قريش بناء الكعبة، وكانت هذه هي المرة الثالثة التى تم فيها بناء الكعبة، لأن المرة الأولى هي بناء آدم للكعبة، ثم المرة الثانية هي التى قام بها ابراهيم، وكان فيها طول البناء حوالى المترين، وكانت بلا سقف، وكان لها بابان، باب يدخل منه الحجيج، وباب يخرجون منه.

بناء ابراهيم للكعبة

وكانت المرة الثالثة هيٍ المرة التى بنتها قريش، ورفعت فيه البناء الى حوالى تسعة أمتار، وجعلت لها سقفًا، ورفعت بابها عن الأرض، بحيث يصعد اليها بسلم، ولا يدخل اليها أي شخص، ولكن يدخل اليه فقط الذي تريد قريش أن تدخله.

°°

قريش لم تجد الأموال الحلال الكافية لإعادة البناء بالكامل

ولكن قريش لم تجد الأموال الحلال الكافية لإعادة البناء بالكامل، لأنهم كانوا قد شرطوا على أنفسهم ألا يدخل في أموال بناء الكعبة الا المال الحلال فقط.

حيث وقف فيهم رجل من قريش اسمه "أبو وهب بن عمرو" وقال:

- يا معشر قريش، لاتدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا، لايدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

ووافقته "قريش" على هذا، ولكن العجيب أن المال الطيب الحلال كان قليلًا جدًا بحيث لم تستطع قريش أن تكمل البناء، وهكذا تم البناء ناقصًا، ووضعت قريش علامة تدل على هذا الجزء الناقص، وهذه العلامة هي سور أو حائط من الحجر على شكل قوس، أو شكل نصف دائرة، وأطلقت عليه اسم "الحجر" لآنها حَجَّرت عليه، أي جعلته من الحَجَر، وأطلق عليه بعد ذلك "حجر اسماعيل" وأطلق عليه أيضا "الحطيم".

يقول الرسـول ﷺ لزوجته عائشـة:

"يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا"

يعنى كان الرسول ﷺ يحب أن يعيد البيت كما بناه ابراهيم -عَلَيْهِ السَّلامُ-

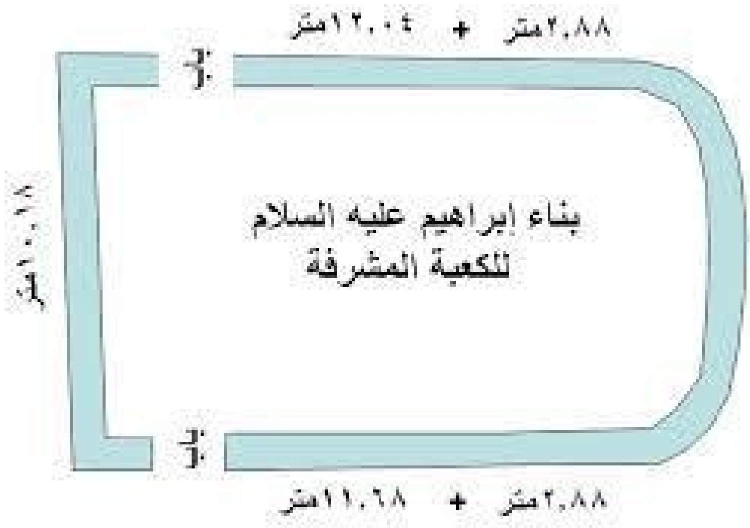

.

كان الرسول يريد بناء الكعبة كما بناها ابراهيم

°°

بناء الكعبة في عهد ولاية "عبد الله بن الزبير بن العوام"

ثم تصدع بناء الكعبة بعد ذلك في عهد ولاية "عبد الله بن الزبير بن العوام" للحجاز نتيجة رمي مكة بالمجانيق أثناء الصراع على السلطة، فقام الزبير بهدم الكعبة وأعاد بنائها على الوصف النبوي، أي بنفس الشكل الذي بناها عليه ابراهيم -عَلَيْهِ السَّلامُ- ، استنادًا للحديث الذي روته خالته السيدة عائشة عن الرسول ﷺ فأدخل الحجر في البناء، وجعل لها بابين: بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا، والصقهما بالأرض، بحيث يدخل الناس من باب، ويخرجون من الآخر.

أعاد "عبد الله بن الزبير" بناء الكعبة على الوصف النبوي

فلما قتل "الزبير" وأصبح "الحجاج" واليًا على الحجاز لمدة ثلاثة سنوات، أرسل الحجاج الى "عبد الملك بن مروان": وهو الخليفة في ذلك الوقت بالتعديل الذي أحدثه ابن الزبير، فاعتقد "عبد الملك" أن "ابن الزبير" فعل ذلك برأيه، فأمر بهدم الكعبة واعادة بنائها على الشكل الذي بنته عليه قريش، فأخرج الحجر مرة أخري، وجعل لها بابًا واحدًا ورفعه عن الأرض.

فلما سمع "عبد الملك بن مروان" بحديث عائشة بعد ذلك، ندم على ما فعل، وفكر في أن يهدم الكعبة مرة أخري، ويعيد بنائها كما بناها الزبير، على الوصف النبوي، وكما بناها ابراهيم واسماعيل –عليهما السلام-

واستشار "عبد الملك بن مروان- الإمام "مالك بن أنس" في ذلك، فكان رأي الإمام مالك ألا يفعل هذا، حتى لا تذهب هيبة البيت، ووافقه "عبد الملك" ولم يفعل.

°°

بناء الكعبة في عهد "محمد على"

وهكذا ظلت الكعبة بهذا الشكل، حتى سنة 1040 هجرية، عندما اجتاحت مكة سيول عارمة، فأغرقت المسجد الحرام، حتى كادت تصل المياه الى سقف المسجد، وسبب هذا ضعف بناء الكعبة، فقام "محمد على" والى مصر في ذلك الوقت،

بارسال أمهر العمال، والذين قاموا بهدم الكعبة، واعادة بنائها، بنفس الشكل الذي بنته عليه قريش، ولا يزال هو البناء الموجود الى الآن.

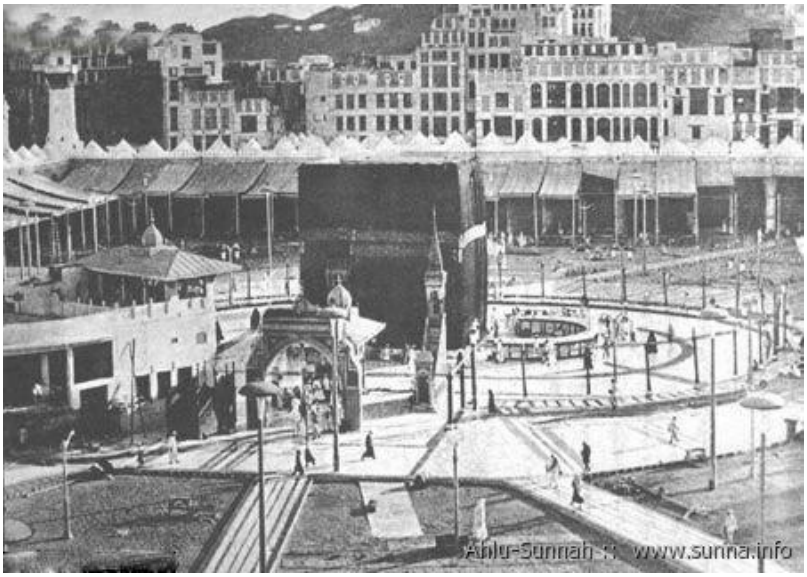

بناء "محمد على" هو البناء الموجود الآن

محمد على

°°

لقد كان اخراج قريش للحجر من الكعبة، حين قصرت بهم النفقة الطيبة عن استكمال البناء، ومتابعة البناء على ذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا ونصف القرن، هو أمر قدره -تعالى- حتى يُمَكن عامة المسلمون من دخول الكعبة، عند دخولهم الى الحجر.

اخراج قريش للحجر مكن المسلمون من دخول الكعبة

°°

هدم الكعبة في آخر الزمان

أما آخر هدم للكعبة، فسيكون في آخر الزمان، قرب قيام الساعة، لحديث الرسول ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم.

"يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة"

و"الحبشة" هي دولة "أثيوبيا" الآن.

"ذو السويقتين" السويقة: تصغير الساق، يعنى وصف هذا الرجل أنه نحيف وصغير الساقين.

آخر هدم للكعبة سيكون في آخر الزمان

.....

البعد الثالث للكعبة

ولا ينبغي أن يكون هدم الكعبة واعادة بنائها مدخلًا للوسوسة الشيطان، لأن الكعبة حين اراد أن يهدمها أبرهة اهانة لها، لم يمكنه الله تعالى من ذلك، بل أهلكه وعذبه بمعجزة باهرة.

وحين ستهدم في آخر الزمان، فان ذلك سيكون أمرًا عظيمًا، وسيكون من علامات الساعة وقيام القيامة.

ونقول لمن سيعاصر هذا الوقت العصيب أن الكعبة ليست هي هذا البناء الذي نراه، بل الكعبة هي قطعة الأرض المقام عليها بناء الكعبة، مضافًا اليها البناء.

وهذا البناء هو ما يطلق عليه "البعد الثالث للكعبة" ولكن ليس هو كل الكعبة.

ومن هذا نفهم قول الله تعالى في سورة البقرة ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ))

وهذا البناء له -ولا شك- قدسيته وهيبته، ولكنه يكتسب قدسيته وهيبته ليس لأنه الكعبة ذاتها، ولكن لأنه البعد الثالث للكعبة

وهذا "البعد الثالث للكعبة" خصوصية لهذا البناء الشريف ليست لغيره من أي بناء في العالم، لأن أي بناء نقول أن هذا هو المبني، وهذه هي قطعة الأرض المبنى عليها هذا المبني، أما الكعبة، فنقول أن هذه هي الكعبة، وهذا البناء هو البعد الثالث للكعبة

°°°

****

الفصل الخامس والعشرون: "على بن أبي طالب" في بيت النبي صلى الله عليه وسلم

°°°

°°°

"على بن أبي طالب" ينتقل الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم

عندما كان عمر الرسول صلى الله عليه وسلم ستة وثلاثون عامًا، أصاب المنطقة قحط، ومرت قريش بأزمة غذائية كبيرة، وتأثر بهذه الأزمة فقراء مكة تأثرًا شديدًا، وكان منهم "أبو طالب" عم النبي صلى الله عليه وسلم لأن "أبو طالب" كان مثقلًا بالتزاماته كسيد من سادات قريش، وأهمها "الرفادة" يعنى كان هو المسئول عن اطعام الحجيج، وكان كذلك كثير العيال، ففكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يساعد عمه "أبو طالب" بأن يحمل عنه عبأ بعض أبناءه، وذلك بأن يأخذ أحد أبناء "أبو طالب" ليربيه في بيته.

لم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك بل ذهب الى أكثر أعمامه مالًا، وهو عمه العباس، وقال له:

- **يا عباس إن أخاك كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله.**

يعنى أن يأخذ كل واحد منا أحد أبناء "أبو طالب" لينشأ في بيته، ويكون هو المسئول عن الانفاق عليه.

وكان هذا حلًا عمليًا، يحفظ لأبو طالب كرامته، لأن أبو طالب من سادة بنى هاشم، وليس معقولًا أن يأخذ مساعدة من أحد، ولو كان أخيه أو ابن أخيه.

وبالفعل ذهبا الى "أبو طالب" وعرضا عليه الأمر، فوافق أبو طالب، ولكنه قال: "اتركوا لي عقيلا و خذوا من شئتم" لأن "أبو طالب" كان شديد الحب لإبنه "عقيل" وهو أكبر أبناءه.

وهكذا أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم "على بن أبي طالب" وأخذ العباس "جعفر بن أبي طالب"

أصاب المنطقة قحط، ومرت قريش بأزمة غذائية كبيرة

°°°

"على" يتحدث عن حياته مع الرسول صلى الله عليه وسلم

كان عُمْر "على بن أبي طالب" حين انتقل الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ستة أعوام.

ويتحدث على –رضى الله عنه- عن حياته في بيت الرسول ﷺ فيقول:

"كان رسول الله ﷺ يضمنى الي صدره، ويكتنفني في فراشه"

°°

موقف في أحد دور الأيتام

كنت ألقي محاضرة في أحد دور الأيتام عن الإمام على، وبعد المحاضرة سألت الأطفال:

- ما هو الموقف الذي كنت تتمنى أن تكون فيه في حياة الإمام على؟

وكانت الإجابات رائعة، وقال كثير منهم:

- كنت أتمنى أن أنام على فراش الرسول ﷺ في ليلة الهجرة حتى أفدي الرسول ﷺ بنفسي.

وقال لى أحدهم في خجل:

- كنت أتمنى أن يضمنى الرسول ﷺ الى صدره في فراشه، كما كان يضم "على بن ابي طالب"

°°

عاش على بن أبي طالب في بيت الرسول ﷺ، ورباه وأدبه الرسول ﷺ وأمنا السيدة خديجة، ولذلك كان"على" بعد ذلك هو هذه الشخصية الفذة العظيمة.

وفي نفس الوقت لم يكن "على" منعزلًا عن أبيه "ابي طالب" وأمه العظيمة السيدة "فاطمة بنت أسد" لأن بيت الرسول ﷺ كان عند منطقة المروة، وهو قريب من بيت أبو طالب.

كذلك كان أخيه "جعفر بن أبي طالب" وهو في بيت "العباس" قريبا من أبيه وأمه، لأن بيت العباس في شعب أبي طالب، وبيت أبي طالب في رأس الشعب، فكأنهما في شارع واحد.

°°

فضائل شخصية الرسول ﷺ في ضم على

وحين ضم الرسول ﷺ ابن عمه الي بيته كشف عن عدة فضائل في شخصية الرسول ﷺ

أولًا: فضيلة الشعور بمعاناة الآخرين: لأن الرسول ﷺ لم يتأثر كثيرًا بالأزمة التى كانت فيها قريش، ومع ذلك لم ينس أن عمه "أبو طالب" فقيرًا وكثير العيال، وأنه لا شك يعاني من هذه الأزمة، فبادر الى مساعدته بطريقة تحفظ له كرامته، وهذه فضيلة عظيمة، وهي فضيلة الاحساس بمعاناة الآخرين.

تجد مثلًا فتاة لها صديقات، وكلهن يحلمن بالاستقرار والزوج الصالح، وعندما تتزوج تنسي صديقاتها، ولا تفكر في أن تساعدهن في الزواج عن طريق أصدقاء زوجها مثلًا، وتقول "امشي في جنازة ولا تمشي في جوازة" وهذا منطق أناني.

تجد مجموعة من الشباب تخرجوا في الجامعة، ووفق الله تعالى أحدهم في عمل جيد، فينطلق في حياته وينسي أصحابه، ولا يفكر في أن يساعدهم هم أيضا في العمل في الشركة التى عمل فيها.

هذه الأثرة والأنانية ليست من أخلاق الإسلام، فالمسلم يجب أن يشعر بمعاناة الآخرين، يقول الرسول ﷺ:

"ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به"

يعنى الذي لا يشعر بمعاناة جاره ناقص الإيمان، وصورته أن ينام شبعان وجاره جائع.

ويقول الرسول ﷺ **"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"**

فالذي يعيش مغلقًا على نفسه باب بيته، ولا يهتم الا بنفسه وعياله، ليس هو نموذج المسلم الصحيح.

ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به

°°

وحين ضم الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمه "على" الي بيته يكشف أيضا عن فضيلة "رد الجميل"

لأن "أبو طالب" عم النبي صلى الله عليه وسلم ضم النبي صلى الله عليه وسلم الى بيته منذ كان عمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانية أعوام، وظل في بيته حتى تزوج وعمره خمسة وعشرون عامًا، فرد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجميل الى عمه، وأخذ ابنه الصغير "على" وعمره ستة أعوام ليربيه هو أيضًا في بيته.

للأسف هناك من اذا اسديت اليه أي معروف، يتهرب منك لأنك تذكره بحالة من حالات ضعفه واحتياجه، ولذلك قالوا "اتق شر من أحسنت اليه"

°°

وحين ضم الرسول ﷺ ابن عمه الي بيته يكشف أيضا عن فضيلة "الإيجابية"

فالرسول ﷺ لم يكتف بأن يأخذ أحد أبناء أبو طالب، ولكن ذهب أيضا الى عمه العباس ودعاه الى نفس الأمر.

والايجابية فضيلة عظيمة جدًا، ونهضة الأمم لا تتحقق الا بالشخصيات الإيجابية، والشخص المتدين السلبي لا يفيد الاسلام بشيء.

والرسول ﷺ عندما قال "اللهم أعز الاسلام بأحب العمرين اليك" يعنى عمرو بن هشام –أبو جهل- أو عمر بن الخطاب، لأن الصفة المميزة في كليهما هي الايجابية.

°°°

الآن في بيت الرسول ﷺ والسيدة خديجة:

"هند" ابن السيدة خديجة من زوجها الأول، **و**"هالة" ابن السيدة خديجة الثاني من زوجها الثاني، وبنات الرسول ﷺ من خديجة: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة، ويوجد أيضًا "زيد بن حارثة" وكان اسمه وقتها "زيد بن محمد"، والآن "على بن أبي طالب"، وفي البيت أيضا "بركة بنت ثعلبة" مربية الرسول.

°°°

درس جديد من دروس سيرة الرسول ﷺ

والآن يقترب الرسول ﷺ من سن الأربعون، وهو السن الذي سيبدأ فيه نزول الوحي على الرسول ﷺ

أربعون سنة كاملة من الإعداد للرسول ﷺ من أجل ثلاثة وعشرون سنة من الدعوة، لأن المهمة التى سينهض بها الرسول ﷺ هي أعظم مهمة في التاريخ، وهي مهمة أصلاح وانقاذ البشرية.

وهذا درس هام من دروس سيرة الرسول ﷺ وهو أنك حتى تحقق هدفك فلابد من الاعداد الجيد لتحقيق هذا الهدف، أما الاستعجال في الوصول للهدف فهذا سيعيدك الى نقطة الصفر، أو الى ما وراء نقطة الصفر.

آفة كثير من الشباب هو الاستعجال، أذكر أن أحد رجال الأعمال قال لي أن الفارق بيننا وبين الألمان هو أن الذي نقوم به في ثلاثة دقائق ينجزونه في ثلاثة أيام.

ولذلك تجد أن طفولة الانسان هي أطول مرحلة طفولة بين المخلوقات، فالحيوانات طفولتها لا تتعدي شهور أو أسابيع، وكثير من الأسماك والحشرات ليس لها مرحلة طفولة، لأن مهمة الانسان هي الأصعب، ولذلك يحتاج الى أطول فترة للإعداد، أي يحتاج الى اطول مرحلة طفولة.

طفولة الانسان هي أطول مرحلة طفولة بين المخلوقات

أقول للشباب أنت الآن في سن الاعداد، والسن من عشرة الى عشرون عام هو أفضل سنوات التحصيل، عليك أن تبذل اقصى جهد وأنت في هذا السن، لا تضيع دقيقة من وقتك، وكل العظماء مثل "أحمد زويل" و"مجدي يعقوب" وغيرهم، بذلوا جهدًا جبارًا في سن الشباب حتى تحقق لهم النجاح بعد ذلك.

°°°

الآن وصل الرسول ﷺ الى سن الثامنة والثلاثون، وهو في آخر مرحلة من مراحل الاعداد، وهي مرحلة الاعداد الروحي، وزيادة الطاقة الروحية للرسول ﷺ وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل القادم ان شاء الله تعالى.

****

الفصل السادس والعشرون: مرحلة الإعداد الروحي قبل نزول الوحي

°°°

°°°

°°°

انتهينا حين وصل سن الرسول ﷺ الى الثامنة والثلاثون، وبدأت آخر مرحلة من مراحل اعداد الرسول ﷺ لأعظم مهمة في التاريخ كله، وهي مهمة انقاذ البشرية، وهذه المرحلة هي مرحلة الاعداد الروحي، وزيادة الطاقة الروحية للرسول ﷺ.

في هذه الفترة حُبِّبَ الخلاء للرسول ﷺ، يعنى أصبح الرسول ﷺ يحب أن يكون بمفرده، ويحب أن يذهب الى مكان بعيد عن الناس ويظل في هذا المكان بمفرده

ولم يكن الرسول ﷺ يقضي بمفرده ساعة أو ساعتين، بل كان يظل بعيدًا عن الناس عدة أيام، فكان الرسول ﷺ يذهب الى غار حراء، ويظل فيه عدة أيام.

حُبِّبَ الخلاء الى الرسول ﷺ

°°

وصف غار "حراء"

الجبل الذي فيه غار حراء، وهو الجبل الذي أطلق عليه بعد ذلك "جبل النور" وهو يبعد عن مكة حوالى خمسة كيلو مترات، وارتفاعه حوالى ستمائة وثلاثين مترًا، وهو جبل شديد الانحدار والوعورة، أما غار حراء فهو في قمة الجبل.

والوصول الي غار حراء، يحتاج الى حوالى ساعة ونصف الساعة، بالرغم من أن الطريق تم تعبيده الآن نسبيًا، وفيه بعض الاستراحات البدائية.

وهو من الداخل يتسع لحوالى تسعة أشخاص جلوسًا، وارتفاعه ارتفاع قامة الانسان المتوسطة

جبل النور وغار حراء في قمة الجبل

غار حراء من الخارج

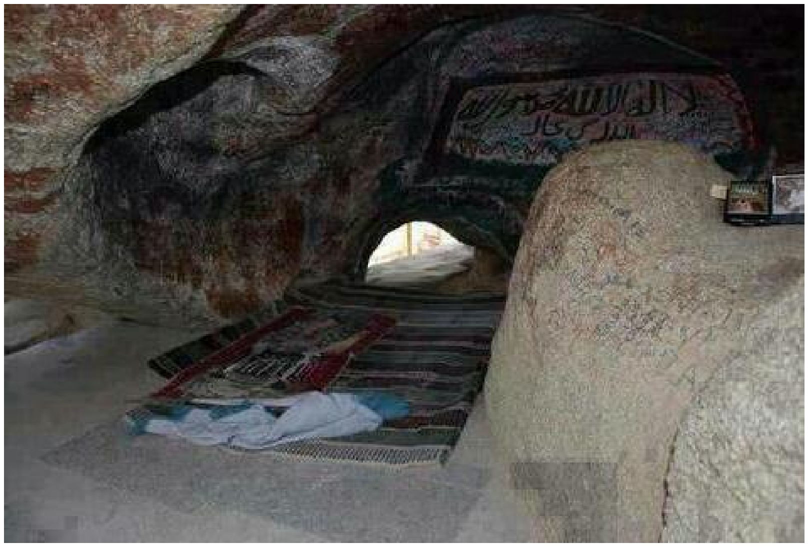

غار حراء -- من الداخل

هذا هو وصف غار حراء الذي كان يقصده الرسول ﷺ قبل البعثة بعامين فينعزل عن كل الناس، ويتعبد فيه

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة قالت **"أَوَّلُ مَابُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَيَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثم حبب إليه الخلاء،وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ** (أي يتعبد) **اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ, قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا"**

والمقصود باللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، أي الأيام الكثيرة، فكان الرسول ﷺ يأخذ طعامه وشرابه ويتجه الى جبل النور، ويصعد الى غار حراء هذه المسافة الكبيرة، ويظل في غار حراء عدة أيام، ثم يعود الى بيته، ويتزود بالطعام والشراب، ثم يعود الى غار حراء مرة أخري وهكذا.

°°°

عبادة الرسول ﷺ في غار حراء

وكانت عبادة الرسول ﷺ في غار حراء هي عبادة التفكر، فكان الرسول ﷺ يتفكر في خلق السماوات والأرض والكون، وكان المشهد من غار حراء يساعد على هذا التفكر، لأن الغار يطل على جبال شاهقة ووديان واسعة، وفضاء كبير، وأفق واسع.

والتفكر من العبادات التى نغفل عنها، ولا يمارسها الى القليل جدًا، يقول أبو الدرداء **"تفكر ساعة خير من قيام ليلة"** ويقول عمر بن عبد العزيز **"التأمل في نعم الله أفضل عبادة"**

المشهد من غار حراء

°°

أين السيدة خديجة من ذلك؟

كانت السيدة خديجة تأتي وتظل مع النبي ﷺ بضعة أيام، يعنى مثلًا لو ظل الرسول ﷺ في غار حراء عشرة أيام، تأتي السيدة خديجة وتظل معه يومين أو ثلاثة، بالرغم من أن عمرها في ذلك الوقت خمسة وخمسون سنة

لماذا ؟

أولًا: من شدة حبها للرسول ﷺ ورغبتها في أن تظل معه والى جواره.

وثانيًا: حتى لا تكون هناك فجوة بينها وبين زوجها.

وهذه نقطة هامة للزوجات: لا تكوني في وادي وزوجك في وادي، فيختفي التفاهم، وتعيشون أغراب تحت سقف واحد، شاركي زوجك في اهتماماته، طالما أنه أمر غير محرم، فما المانع أن تشاركيه في اهتماماته وهواياته.

°°

تمهيد للرسول ﷺ قبل نزول الوحي.

قبل نزول الوحي بستة أشهر، كان هناك تمهيد للرسول ﷺ لنزول الوحي.

لأن الرسول ﷺ سيقابل "جبريل" وهو أعظم كائن في الوجود، ومقابلة جبريل واستقبال الوحي من السماء ليس أمرًا هينًا، وهو أمر يحتاج الى تمهيد.

°°

من التمهيد للرسول ﷺ الرؤيا الصادقة

فكان من التمهيد للرسول ﷺ الرؤيا الصادقة، روي البخاري عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ أَنَّهَا قَالَتْ

"أَوَّلُ مَابُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَيَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ"

يعنى أن الرسول ﷺ يري -مثلًا- أن فلان يزورهم في البيت، وكان معه كذا، ويقولون كذا، ويحدث كذا، فتتحقق الرؤيا كما رآها بالضبط، فشعر الرسول ﷺ أن هناك شيء غريب وغير عادي

ثم كان التمهيد الثاني، والواضح جدًا هو تسليم الحجر والشجر على الرسول ﷺ.

كان الرسول ﷺ يمشي في مكة فيسمع صوتًا يصدر من الحجر والشجر يقول "السلام عليك يا رسول الله" فيلتفت فلا يجد شيئا.

وأحيانًا يري الرسول ﷺ الحجر ويسمعه وهو يقول "السلام عليك يا رسول الله"

روي مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ

"إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن"

كان الحجر والشجر يسلم على الرسول ﷺ

°°

نعود مرة أخري الى غار حراء.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يزال يتردد على غار حراء، ويظل هناك عدة أيام، وحتى بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أربعون عامًا.

وفي شهر رمضان، وفي ليلة من ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان، يبدأ نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم

وهذا سيكون حديثنا في الجزء الثالث ان شاء الله تعالى.

°°°